بلاغة جواب النبي –صلى الله عليه وسلم– في خطاب الأعراب

الباحث/ السيد مسعود حسن عبدالرازق
مدرس البلاغة والنقد بكلية الدراسات الإسلامية
والعربية بدمياط الجديدة

الملخص باللغة العربية:

جاءت هذه الدراسة لتكشف اللثام عن جانب مهم من بيان النبي ﷺ في مخاطبة الأعراب وجوابهم، واستبان من خلاله كيفية مخاطبة المخالف بيئة وطبعًا وسلوكًا، والرد على ما يدور في خلده من أسئلة واستفسارات في أبهى صورة من صور البيان البشري وأعظمها لا تقوم فقط على أساس العاطفة والإمتاع وإنما تتكأ كذلك على الحجة والإقناع، فيصل الأعرابي من خلالها عبر صور البيان المتنوعة إلى التسليم التام للجواب والشفاء الكامل لما كان ينتابه من حيرة أو دهشة، فكان الغرض من هذه الدراسة الوقوف على خصائص البلاغة النبوية، في جوابه ﷺ على خطاب الأعراب من خلال أحاديث منتقاة من صحيح البخاري.

وجاء البحث في مقدمة، وتمهيد، وخمس نقاط، وخاتمة . تناولت في التمهيد أثر بلاغة النبي ﷺ، وبيان معنى جواب وخطاب، وبيان معنى الأعراب والمقصود بهم وصفاتهم، وتناولت في النقاط الخمس الأحاديث التي وجه فيها النبي ﷺ خطابه إلى الأعراب مقسمًا لها حسب سياق كُل حديث كالآتي: ١– بلاغة جواب النبي ﷺ في سؤال الأعرابي عن الساعة. ٢– بلاغة جواب النبي ﷺ للأعرابي في معرض الثبات واليقين. ٣– بلاغة جواب النبي ﷺ للأعرابي عن أسباب دخول الجنة. ٤– بلاغة جواب النبي ﷺ للأعرابي في السؤال عن الهجرة. ٥– بلاغة جواب النبي ﷺ في مقام الرفق وتقويم الأخطاء عند الأعراب. ثم الخاتمة، ووضعت فيها أهم النتائج التي توصل البحث إليها، ثم فهرس المصادر والمراجع، وفهرسًا للموضوعات، ومن أهم النتائج التي توصل إليها البحث: ١–أُعطي النبي ﷺ جوامع الكلم، وهي ملكة وموهبة يقتدر بها على إيجاز الألفاظ مع سعة المعاني وبنظم لطيف لا تعقيد فيه.٢–مراعاة حال كل فرد عند إجابته ﷺ لتتطابق مع الحال التي سأل عنها الأعرابي، مع الوضوح الكاشف حتى يتسنى لهم الفهم والاستيعاب. ٣–الاختصار والدخول مباشرة على جواب السؤال؛ وذلك لشعوره التام بحال المخاطب وحيرته وتلهفه إلى الجواب.

الكلمات المفتاحية

جواب، خطاب، الأعراب، النبي، بلاغة، حديث، بخاري.

Abstract

This study came to reveal an important aspect of the Prophet's statement, peace be upon him, in addressing the Bedouins and their response, and through it it became clear how to address the one who differs in environment, nature and behavior, and respond to the questions and inquiries that are going on in his mind in the most beautiful and greatest form of human statement, which is not only based on emotion and enjoyment, but also relies on argument and persuasion, so the Bedouin reaches through it, through the various forms of statement, complete submission to the answer and complete healing of what was befalling him of confusion or astonishment, so the purpose of this study was to stand on the characteristics of prophetic eloquence, in his response, peace be upon him, to the Bedouins' speech through selected hadiths from Sahih Al-Bukhari.

The research consisted of an introduction, a preface, five points, and a conclusion. In the preface, I discussed the impact of the Prophet's eloquence, explaining the meaning of answer and address, explaining the meaning of the Bedouins, what is meant by them, and their characteristics. In the five points, I discussed the hadiths in which the Prophet addressed the Bedouins, dividing them according to the context of each hadith as follows: ١- The eloquence of the Prophet's answer to the Bedouin's question about the Hour. ٢- The eloquence of the Prophet's answer to the Bedouin in the context of steadfastness and certainty. ٣- The eloquence of the Prophet's answer to the Bedouin about the reasons for entering Paradise. ٤- The eloquence of the Prophet's answer to the Bedouin in the question about migration. ٥- The eloquence of the Prophet's answer in the context of kindness and correcting the Bedouins' mistakes. Then the

conclusion, in which I put the most important results that the research reached, then the index of sources and references, and an index of topics, and among the most important results that the research reached: ١- The Prophet (peace and blessings of Allah be upon him) was given the essence of words, which is a talent and a gift that enables him to concise words with a breadth of meanings and in a pleasant arrangement without complexity. ٢- Taking into account the condition of each individual when answering him (peace and blessings of Allah be upon him) to match the condition that the Bedouin asked about, with clear clarity so that they can understand and comprehend. ٣- Brevity and going directly to the answer to the question; This is due to his complete awareness of the condition of the person being addressed, his confusion and his eagerness for an answer.

Keywords: Answer, Speech, Arabs, Prophet, Rhetoric, Hadith, Bukhari.

المقدمة

الحمد لله الذي بعث نبيه بالحق هاديًا ومُعلماً ، والصلاة والسلام على أفصح العرب سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد...

فإن أبلغ ما علت به راية البيان من كلام البشر قاطبة هو كلام رسول الله ﷺ ، فهو الكلام المحمود الجامع المعصوم المختصر في ألفاظ معدودة وجمل وعبارات وجيزة ، لكنها فكرًا عميقًا مستنيرًا ، لا تبلى حروفه ، ولا تخلق معانيه ، ولا تنتهي على كثرة الدرس والبحث عجائبه ، ولا غرو ، فبيانه وحى من الوحى، وتنزيل من التنزيل: وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ(٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) [١].

والمتطلع لأحاديث الرسول الكريم ﷺ يجدها تكفي لأن تُقيم أمة ، وتبعثها بعثًا جديدًا، وتحييها حياة أخرى طيبة كريمة ، لو أرادت الأمّة ذلك ، بدلًا من أن تكون عالة على موائد غيرها من الأمم ، ففي أحاديث رسول الله إصلاح تام لبني الإنسان، ورعاية فائقة لمصالحهم والفوز والنجاة والفلاح في الآخرة.

ونستطلع في هذا البحث أحاديثَ لرسول الله ﷺ وجَّه فيها النبي الكريم خطابه إلى الأعراب خاصة وإلى المسلمين عامة ، يُجيب فيها على سؤالاتهم واستفساراتهم، من خلال أحاديث منتقاة من صحيح البخاري .

وكان في جواب النبي الحكيم الفذ إصلاح للسؤال بما ينبغي أن يُسأل في مثل هذا الموقف ، مع إمداده بالجواب المقنع الذي فيه صلاح لحاله ، ومن وراءه من المسلمين، ضمن السنن القولية التي تحدث بها النبي الكريم لتقويم الأمة وتهذيبها.

تهدف هذه الدراسة إلى بيان مزية النبي وتفرده ﷺ والكشف عن بلاغته التي لا تُضاهيها بلاغة، من خلال الوقوف مع بعض الأحاديث التي وجه لنبي ﷺ جوابه للأعراب ، اختصت هذه الأحاديث بكونها إجابات في مواقف حياتية مختلفة قد واجهها النبي إما بسؤال من أعرابي أو بمشهد علّق عليه النبي بما فيه النفع للأعراب والمسلمين ، وتمتاز تلك الأحاديث التي اخترتها محل الدراسة بما فيها من إيجابيات يُعلم فيها الأعراب والصحابة كيفية الجواب في حكمة بليغة وبلاغة متناهية.

دوافع البحث:

– في أحاديث جواب النبي ﷺ على الأعراب أمر الروح العظيمة الموجهة بكلمات ربها ووحيه ، فكان ﷺ يزرع في الأعراب السائلين وفي أصحابه الخير وينزع منهم كل ما هو غير ذلك ، فما سأله أعرابي عن شيء حتى عدّل النبي إجابته إلى ما هو خير للسائل ، وهو بذلك يمحو ما تبلور في ذهن السائل ويُضفي عليه منهجًا جديدًا فيه النفع بأكبر ما كان يتصور السائل.

– يقيني التام بأن الدراسة التحليلية لأسلوب البيان النبوي هي أقرب الدراسات إلي فهم هذا البيان الشريف وأوفرها نفعًا لما فيها من الاطلاع علي الأسرار واللطائف المودعة في نظم البيان النبوي الشريف.

– أحاديث رسول الله ﷺ معيار دقيق للفصاحة والبلاغة يُحتذى بها ، فكان له بالغ الأثر في شتى فنون القول ، فلذا فاق أسلوبه غيره من فنون البيان في جودة الإبلاغ والإفهام.

– يظهر في جواب النبي ﷺ على الأعراب مدى مقدرة النبي على مخاطبة كل إنسان على قدر عقله وتفكيره ، مع حسن اختيار الألفاظ المؤدية للمعنى المراد ، فيكون فيها الكلام مطابقًا لمقتضى الحال.

– إعجاز السنة في جواب الأعراب يكمن في فصاحة اللفظ ، وجزالة المعنى وبلاغة الكلام ؛ حيث أوتي عليه السلام جوامع الكلم ، فتميز بهذه الخاصية وتفرد بها عن غيره من الفصحاء والبلغاء. فكلامه النبي

ﷺ هو أسمى الكلام الإنساني ، وبلاغته هي البلاغة العالية التي لا تُضاهيها بلاغة ، فقد بلغ ذروة البيان والفصاحة.

– أحاديث جواب الأعراب وإن كانت من خلال حادثة معينة أو مواقف محددة لأشخاص ، أو رسائل ، أو توجيهات مخصوصة ، إلا أن فيها درس للمسلمين كافة.

– من وجوه العناية بالحديث الشريف الوقوف على بلاغته ، والمعايشة معه لاستخراج أسراره وخصائصه البلاغية ، وهذا مما دفعني إلى هذا البحث.

– الرغبة في تذوق المزيد من البلاغة التطبيقية في البيان النبوي وبيان المزية البلاغية والأدبية والنواحي الشرعية من خلال المعايشة للأحاديث محل الدراسة.

– أن أحاديث الأعراب – في معظمها – تبدأ بما عجزت عن فهمه النفس الإنسانية وتنتهي بجواب النبوة ، ففيه من الدلالة على نبوة النبي ﷺ وكماله وحُسن بلاغته في إيصال الجواب.

– النبي ﷺ فيه جوابه على الأعراب كان يُنشأ حقائق إنسانية أقرّها الشريعة الإسلامية ، فالتعرض لتلك الأحاديث يُعلمنا – إلى جانب بلاغتها – معرفة الإسلام وطرائقه.

– في جواب النبي ﷺ للأعراب يظهر الطّبع العربي الأصيل ، وفصاحة أسلوبه الذي جاء على السليقة العربية الخالصة ، مغ سهولته ، وقصده ، وبعده عن التشدق والتكلُّف.

الدراسات السابقة:

هناك العديد من الدراسات التي دارت حول الحديث الشريف بلاغيًا ، لكن لم أعثر على دراسة مستقلة اختصت بجواب النبي للأعراب ولا خطابهم معه ، ومن تلك الدراسات التي دارت حول الحديث الشريف:

– الأسلوب الحكيم في الحديث النبوي في صحيح البخاري" عشرة أحاديث مختارة. دكتور/ كمال كامل محمود ، أستاذ البلاغة والنقد .كلية البنات الإسلامية بأسيوط . جامعة الأزهر.

– أسلوب الحوار في الحديث النبوي دراسة بلاغية ، دكتور / خليل محمد أيوب ، دار النوادر سوريا.

– الأسلوب الخبري بين المخاطِب والمخاطَب من خلال أحاديث اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، محمد السيد موسى، مجلة كلية التربية، جامعة المنصورة، العدد ٧٥ الجزء الثانى . ٢٠١١١م .

– الخطاب الطلبي في الحديث النبوي، دراسة بلاغية في صحيح البخاري. هناء محمود شهاب، ط الأولى ١٤٣٥ هـ .٢٠١٤م.

– سمت البيان في سؤال جبريل وجواب النبي ﷺ ، فتحي جلال أحمد أحمد, فتحي – حولية كلية اللغة العربية بجرجا, ٢٠١٤.

وعلى الرغم من عظمة البيان النبوي وشموله ، وكثرة ما كتب فيه من شروح ودراسات وبحوث ، فلا تزال الحاجة ماسة إلى مزيد من الدراسات البيانية العميقة والمتأملة.

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد ونقاط يعقبها خاتمة، فالمقدمة أتحدث فيه عن أهمية الموضوع ودوافعه، والدراسات السابقة ومنهج البحث، والتمهيد أُعرف فيه بعنوان البحث، وأثر بلاغة النبي –صلى الله عليه وسلم– والمقصود بالجواب والخطاب، والتعريف بالأعراب، أمّا نقاط البحث فقسمتها حسب سياقته إلى:

١–بلاغة جواب النبي–صلى الله عليه وسلم– في سؤال الأعرابي عن الساعة.

٢– بلاغة جواب النبي–صلى الله عليه وسلم– للأعرابي في معرض الثبات واليقين.

٣– بلاغة جواب النبي–صلى الله عليه وسلم– للأعرابي عن أسباب دخول الجنة.

٤– بلاغة جواب النبي–صلى الله عليه وسلم– للأعرابي في السؤال عن الهجرة.

٥– بلاغة جواب النبي –صلى الله عليه وسلم– في مقام الرفق وتقويم الأخطاء عند الأعراب.

ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث، ثم المصادر والمراجع، وفهرسًا للموضوعات.

منهج البحث

المنهج الذي يراه البحث أولى بالقبول هو المنهج التحليلي الذي يقوم بتقسيم الحديث النبوي إلى موضوعات حسب سياق كُل حديث ، وتقسيمها حسب المقامات المتنوعة ، وتحليل هذه الأحاديث تحليلاً بيانيًا دقيقًا ، وهذا الطريق فى الدراسة يعطينا تصورًا واضحًا لكل موضوع فى بيانه – صلى الله عليه وسلم –

التمهيد

أولًا : أثر أحاديث النبي ﷺ في البلاغة العربية:

كان جواب النبي ﷺ مفعمًا بالبلاغة والفصاحة ؛ وذلك لأسباب توافرت له وسلاسل طبيعية زادته بلاغة وروعة ، فبلاغته ﷺ . إلهامًا إلهيًا وهبه الله له ، مع ما اكتسبه من قومه أرباب الفصاحة والبيان ، وقد بعثه الله – تعالى – بشيرًا ونذيرًا ، والمتطلع لأحاديث الرسول ﷺ يجدها لم تخرج عن هذين الهدفين مبشرًا ونذيرًا ، وقد ساق الرسول أحاديثه في ثوب بلاغي فصيح يُنبأ عن تملكه زمام الفصاحة والبلاغة ، وفي تأدية النبي ﷺ رسالته بهذا الوجه أظهر تفوقه على هؤلاء القوم ، فكان لمنطق النبي ﷺ أبلغ الأثر في اللغة العربية عامة وفي البلاغة خاصة ، إذ إن العلماء كانوا يستندون لاستشهادهم على وضع القواعد على الحديث الشريف بعد القرآن الكريم ، واعتمدوا عليه في وضع ضوابط الكلام وبيان مقاييسه البلاغية والبيانية ، ولهذا عني العلماء باستنباط أفكاره واستخلاص معانيه وأسراره ، والنبي ﷺ قد أوتي جوامع الكلم فكان على قدرة بيانية تامة في مخاطبة كُل القبائل والعشائر وسائر اللسان العربي – وهذا مما اختص به ﷺ فكان "على حد الكفاية فى قدرته على الوضع ، والشقيق من الألفاظ، وانتزاع المذاهب البيانية حتى اقتضب ألفاظاً كثيرة لم

تسمع من العرب قبله ، ولم توجد فى متقدم كلامها ، وهى تعد من حسنات البيان، لم يتفق لأحد مثلها فى حسن بلاغتها، وقوة دلالتها ، وغرابة القريحة اللغوية فى تأليفها وتنضيدها، وكلها قد صار مثلاً وأصبح ميراثاً خالداً فى البيان العربي مثل قوله: " هذا حين حمى الوطيس " [٢]، ومنها قوله ﷺ " فَاعْمَلْ مِنْ وَرَاءِ الْبِحَارِ" ، فكان للحديث النبوي أثر عظيم في البلاغة فهو " المنبع الثانى للفكر الدينى ، وقد أثر هذا المنبع فى كلا الاتجاهين البلاغيين : العلمى والأدبى ، فهو يؤثر فى البلاغة باعتباره المصدر الثانى للتشريع بعد القرآن الكريم، وباعتبار بلاغته الرفيعة... فالنصوص القرآنية والنبوية كانت سببًا فى نشأة علوم كثيرة تعد من المنابع الفكرية الدينية التى أثرت فى الاتجاه العلمى للبلاغة كالدراسات القرآنية ودراسات أصول الفقه ، ودراسات العقائد "[٣].

وبلاغته ﷺ تقع على قمة الكلام فـ " الحديث هو كلام الرسول ﷺ ، وهو المصدر التشريعي الثاني بعد القرآن ، وبلاغته فى الذروة من كلام العرب ، وللرسول أقوال تدل على مبلغ عنايته بفن القول منها: " أبغضكم إلى الثرثارون المتفيهقون "[٤] .

ومن وهذه الدرجة العالية من الكلام والوصف البديع للحديث الشريف راجع لإعداد النبي ﷺ لهذه المهمة العظيمة فقد نشأ في قريش أفضل ما يمتلكون هو البيان والاقتدار عليه فاكتسب النبي ﷺ منهم فصاحة اللغة وحسن بيانها ، إلى جانب نشأته في بني سعد بن بكر وكانوا " من العرب الضاربة حول مكة ، وكان أطفال القرشيين يتبدون فيهم وفي غيرهم يطلبون بذلك نشأة الفصاحة ، ولا يزال كبراء مكة إلى اليوم يرسلون أحداثهم إلى أماكن هذه القبائل من البادية ، وخاصة إلى قبيلة عدوان في شرق الطائف وهي قريبة من بني سعد، وإنما يطلبون بذلك إحكام اللهجة العربية ، وصحة النشأة ، وحرية النزعة وما إليها مما هو الأصل في هذه العادة يتوارثونها في التربية العربية من قديم "[٥].

هذا إلى جانب فطرته ﷺ النقية التي تربى عليها وذلك متمثل في مظاهر منها تعبده قبل النبوة وانقطاعه عن النّاس في غار حراء الذي كان يتعبد فيه ، مما كان له أبلغ الأثر في صفاء ذهنه وقريحته وخشوعه ، مما جعل قلبه مهيأً لنزول الوحي عليه بالقرآن الذي نمى تلك الملكة اللغوية عنده وأكسبه قوة فوق قوته ، فكان معجزته الخالدة التي تحدى بها الإنس والجن على أن يأتوا بمثله فلم يستطيعوا أن يفعلوا، ولقد كان نزول القرآن الكريم على النبي له أثر عظيم في نفسه وتأثره بمنطقه، ومن ذلك أن كان النبي ﷺ يتمثل بأسلوب القرآن في منطقه وبيانه، كما في قوله ﷺ " ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبَتَيْ الصِّرَاطِ سُورَانِ ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ..." [٦]، فهذا مأخوذ من قوله تعالى: "ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ " [٧] ، وفي ذلك دليل قاطع على تأثر النبي ﷺ بأسلوب القرآن وتأثيره في اللغة والأدب وفنون الفصاحة والبيان..

ثانيًا: المقصود بالجواب والخطاب :

الجواب يقطع السبيل على السائل بحيث لا يترك له مجالاً في زيادة كلامه، خاصة أنه حينما يسأل عن شي ما فانه يطلب جوابًا عن سؤاله، وبعد حصوله على الجواب ينتهي الغرض من الكلام، وهذا ما طبقه النبي ﷺ مع الأعراب ، فكانت إجابته قاطعة شافية لهم.

والخطاب هو وسيلة التفاهم والتعارف بين الناس ، والإنسان بطبعه دائم الحديث مع الآخرين في شؤون الحياة ، ويهدف الخطاب إلى وصف التعابير اللغوية بشكل واضح ، والمقصود به هُنا في خطاب الأعراب هو سؤالهم واستفسارهم من النبي ﷺ وطلبهم الفهم منه عن أمور دينهم وشؤن حياتهم.

أولًا: تعريف الجواب لغة واصطلاحًا:

الجواب لغة من (جَوَبَ) الْجِيمُ وَالْوَاوُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ خَرْقُ الشَّيْءِ. يُقَالُ جُبْتُ الْأَرْضَ جَوْبًا، فَأَنَا جَائِبٌ وَجَوَّابٌ، وَهُوَ مُرَاجَعَةُ الْكَلَامِ، يُقَالُ كَلَّمَهُ فَأَجَابَهُ جَوَابًا، وَقَدْ تَجَاوَبَا مُجَاوَبَةً. وَالْمُجَابَةُ: الْجَوَابُ [٨]. وفِي أَسماءِ اللَّهِ المجِيبُ ، وَهُوَ الَّذِي يُقابِلُ الدُّعاءَ والسُّؤَال بالعَطاءِ والقَبُول،. والجَوابُ : رَدِيدُ الْكَلَامِ، والفِعْل: أَجابَ يُجِيبُ [٩].

وجوابُ الكلام: هو ما يقطع الجوب فيصل من فم القائل إلى سمع المستمع[١٠].

وبالنظر في الأصل اللغوي للفظة (الجواب) نجد أن الجواب . لغوياً . مأخوذ من معنى قطع الشيء (جبت الأرض إذا قطعتها بالسير)، وهذا المعنى هو الأساس الذي يقوم عليه مفهوم الجواب اصطلاحًا ، فبه يحصل السائل على مبتغاه بعد أن يقطعه له المجيب.

ثانيًا: الخطاب لغة واصطلاحًا :

الخطاب لغة من (خَطَبَ) يقول ابن فارس: " الْخَاءُ وَالطَّاءُ وَالْبَاءُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا الْكَلَامُ بَيْنَ اثْنَيْنِ ، يُقَالُ خَاطِبُهُ يُخَاطِبُهُ خِطَابًا، وَالْخُطْبَةُ مِنْ ذَلِكَ [١١]. والخِطابُ والمخاطَبَة : مُراجَعَة الكَلامِ ، وَقَدْ خاطَبَه بالكَلامِ مُخاطَبَةً وخِطاباً، وهُما يَتخاطَبانِ[١٢]، فهو : توجيه الكلام نحو الغير للإفهام [١٣].

ويظهر من التعريف اللغوي أن الخطاب يرجع إلى توجيه الكلام لقصد الإفهام , والخطاب يكون بين طرفين أحدهما هو المخاطِب – بالكسر والثاني هو المخَاطب – بالفتح، وهو خطاب لأن فيه مراجعة في الكلام.

والخطاب اصطلاحًا: قيل فيه أنه هو : هو القول الذي يفهم المخاطب به شيئا [١٤]، أو هو: اللَّفْظُ الْمُتَوَاضَعُ عَلَيْهِ الْمَقْصُودُ بِهِ إِفْهَامُ مَنْ هُوَ مُتَهَيِّئٌ لِفَهْمِهِ [١٥].

ثالثًا: مفهوم لفظ الأعراب

الأَعراب في اللغة : قال ابن فارس: " العين والراء والباء أصول ثلاثة : أحدها الإنابة والإفصاح ، والآخر النشاط وطيب النفس ، والثالث فساد في جسم أو عضو"[١٦] ، والعرب جيل من الناس[١٧]، والخُلَّص

منهم يسمون عربًا عاربة ، أما غير الخُلص – الدخلاء– فيُسمون عربًا مستعربة[١٨]، أما الأَعراب : فهم من سكن البادية من العرب[١٩]، وحتى لو انتقل البدوي إلى الحضر فيظل اسمه أَعرابيًا[٢٠].

فلفظ الأَعراب متعلق بالبداوة ، أو بمن سكن البادية وصار طبعه البداوة وإن انتقل عنها ، وقد شرح ابن منظور تعريف الأَعرابي فقال: " أَعرابي إذا كان بدويًا صاحب نجعة وانتواء، وارتياد للكلأ، وتتبع لمساقط الغيث ، وسواء كان من العرب أو مواليهم ... وسواء منهم الناشئ بالبدو ثم استوطن القرى ... والأَعراب ساكنو البادية من العرب الذين لا يقيمون في الأمصار، ولا يدخلونها إلا لحاجة "[٢١] ، والجماعة منهم " أعاريب "[٢٢].

الأَعراب في الاصطلاح : يبدو أن التعريف الاصطلاحي للأَعراب لا يختلف كثيرًا عن التعريف اللغوي ، قال الأصفهاني : " والأَعرابي في التعارف صار اسمًا للمنسوبين إلى سكان البادية "[٢٣].

والخلاصة أن الأَعراب هم من سكن البادية من العرب ، ولا فرق في تعريف الأَعراب بين اللغة والاصطلاح ، وقد أشار القرآن الكريم إلى أن البداوة وسُكنى البادية هي الوصف الملازم للأعراب ، وذلك في قوله تعالى: **يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا** [٢٤] والمعنى: يرغب هؤلاء المنافقون ، في حال اجتماع الأحزاب على المدينة ، لو أنهم هجروا المدينة وأقاموا في البادية[٢٥] كالأَعراب.

من صفات الأعراب

من صفات الأعراب التي اشتهروا بعد الإسلام بها أنهم لا يستطيعون فهم واستنباط الأحكام ، وفي ذلك يقول الله تعالى: " **ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** [٢٦]. ويلاحظ أن المؤمنين من الأَعراب – كما هو شأن غيرهم من الأقوام – على درجات متفاوتة من قوة الإيمان ؛ فمنهم من صدق في إيمانه ، وأنفق طمعًا في القربات وصلوات الرسول، ومنهم دون ذلك بمفاوز ، كالذين اعتذروا عن الخروج، وكالذين قالوا : أسلمنا ، ولما يدخل الإيمان قلوبَهم.

ولقد كان لطبيعة عيش الأَعراب في البادية أثر بارز في صفاتهم وأخلاقهم، ويبدو أن شدة جوّ الصحراء جَبَلَتْهم على الشدة ، واستمرار تَتَبُّعهم مواضع الكلأ والماء ، جعلهم ينفرون من التزام مكان محدد ، وتَشَتُّتهم في أطراف الصحراء بدون سلطان يجمعهم – سوى كبير القبيلة –، جعلهم يميلون للتَّفَرُّد والنفور من النظام والجماعة ، وقلةُ اختلاطهم بالناس وأهل الحضر ، جعلهم أقل علمًا من غيرهم.

ومن صفاتهم الغلظة والفظاظة وهي : صفة عامة في معظم الأَعراب، ومتأصلة فيهم ، حتى إنها كانت تظهر في بعض من آمن منهم ، قبل أن يتمكن الإيمان من قلوبهم، ويُهذب طباعهم ، والأحاديث في ذلك مشهورة معروفة "[٢٧].

ومن صور فظاظتهم: سوء مناداتهم للنبي ﷺ، قال الله عز وجل: **وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥)يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ** [٢٨] ، ويذكر أهل التفسير أنها نزلت في قوم من الأَعراب من بني تميم، لم يحسنوا الأدب في نداء رسول الله ﷺ من وراء حجراته[٢٩] ، "وذلك أنهم وفدوا على رسول الله ﷺ ، فدخلوا المسجد ودَنوا من حجرات أزواج النبي ﷺ وهي تسعة ، فجعلوا ولم ينتظروا، فنادوا بجملتهم : يا محمد اخرج إلينا ، يا محمد اخرج إلينا. فكان في فعلهم ذلك جفاء وبداوة وقلة توقير "[٣٠].

ومن غلظتهم وفظاظتهم أن الله –سبحانه– لم يرسل منهم نبيًا؛ لأن الغلظة والفظاظة لهي كافية لفض الناس ونفرتهم عن مثل هذا كنا قال تعالى : " ولو كنت فظًا غليظ القلب لانفضوا من حولك"، وقد بين ربنا هذا المعنى جليًا في قوله تعالى: **وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** [٣١]، قال ابن كثير : لما كانت الغلظة والجفاء في أهل البوادي ، لم يبعث الله منهم رسولا ؛ وإنما كانت البعثة من أهل القرى "[٣٢] .

ومن صفاتهم قلة العلم : كان لبداوة الأَعراب علاقة بقلة علمهم، فعيش الصحراء وإن كان يصبغ النفس ببعض الطباع المحمودة، كالخشونة والاعتماد على النفس وقوة التحمل والشجاعة والبعد عن عُجمة اللسان وغيرها مما يُمدح، إلا أن لها أثرًا في قلة علمهم وفقههم –بالمجمل–، ففي الصحراء يندر أن يلتقي البدوي بأهل العلم والفضل والفقه، على عكس الحواضر والمدن، حيث يكثر العلماء والفقهاء ويتيسر فيها من أسباب التعلم أضعاف ما يتيسر في البادية، ومن المواضع التي جاء فيها وصفهم بقلة العلم في قوله عز وجل: **ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** [٣٣] "وإنما كانوا أجدر بعدم العلم بالشريعة لأنهم يبعدون عن مجالس التذكير ومنازل الوحي، ولقلة مخالطتهم أهل العلم من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – "[٣٤].

والمقصود أن الأَعراب كان منهم مؤمنون قدموا نماذج في الإيمان يُقتدى بها، وكثيرة هي قصص الأَعراب في السنة النبوية والتي راحت نموذجا في التضحية والإخلاص، أو حسن الإسلام، أو الاهتمام بأمر الدين، وقد قصت علينا السنة النبوية الكثير من المواقف التي كان يسأل فيها الأَعراب النبي ﷺ فتكون سببًا في التعليم، وبها نستطيع الوصول إلى الخصائص البيانية التى برزت فى أحاديث هذا المقام، ويمكننا حينئذ أن نقول: إن النبى ﷺ إذا تحدث فى كذا، كان من سمات بيانه كذا، وكذا، ونستطيع كذلك أن نفسر أسرار هذه السمات، وعلاقتها بالمقام، والسياق ، وكيف باين ﷺ بهذه الخصائص أسلوب البشر.

١–بلاغة جواب النبي–صلى الله عليه وسلم– للأعرابي في السؤال عن الساعة.

ونعيش مع الحديث الأول ؛ لنرى كيف انسابت البلاغة والحكمة من فم النبي العربي سهلة سمحة رقراقة:

عن أبي هريرة قال: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ، جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ، فَكَرِهَ مَا قَالَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ، قَالَ: أَيْنَ أُرَاه السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ، فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ ، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ، فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ [٣٥].

في هذا الحديث الشريف يحذر النبي الكريم من اختلال الميزان ووضع الشيء في غير موضعه ، إذ لطالما امتدح الله – تعالى– في كتابه الكريم أهل الحق والأمانة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، فإذا أُسند الأمر إلى غير أهله أي : تَولَّاه غيرُ أهلِ الدِّينِ والأمانةِ ومَن يُعِينُهم على الظُّلمِ والفُجورِ ، فعندَ ذلك يكونُ الأئمَّةُ قد ضيَّعوا الأمانةَ الَّتي فرَضَ اللهُ عليهم ، حتَّى يُؤتَمَنَ الخائنُ ، ويُخَوَّن الأمينُ ، وهذا إنَّما يكونُ عندَ غلَبةِ الجَهلِ ، وضَعْفِ أهلِ الحقِّ عن القيامِ به ، ففي الحديث الشريف دعوة إلى التحلي بالأمانة والحرص عليها من خلال التحذير من ضياعها ، فالصلاح يبدأ من الراعي الذي يتولى أمر العامة ، فإذا لم يكن كُفأ لها كان ذلك بمثابة ضياع للأمانة.

فبينما كان النبي ﷺ منشغلًا بتعليم قومه وإرشادهم إلى ما فيه هداهم إذ تقحّم هذا الأعرابي مجلس النبي ﷺ بهذا السؤال الذى كان يشغله ويلح عليه (متى الساعة؟)، فسأل الأعرابي عما يشغله حقيقة ويُسيطر على فكره ويستحوذ عليه، وفي انشغال الصحابة بعدم جواب النبي ﷺ عليه دليل على أنّهم قد أهمهم ما أهم الأعرابي وشغلهم ما شغله ، وأنهم كانوا يتشوقون لإجابة النبي عليه ، إلا أنهم قد أخذتهم الحيرة في عدم جواب النبي مباشرة على الأعرابي ، فظن بعضهم أنّه كره ما سأل عنه الأعرابي ، وظن البعض أنّه لم يسمع سؤال الأعرابي أو أنه لم ينتبه له ، ولكنّ الرسول ﷺ المعلم الأول للبشرية أراد أن يُعلم الأعرابي ومن سمع شيئًا من آداب الحديث، وأنّه لا ينبغي على المتعلم أن يقطع حديث المعلم مما يتكلم فيه ، وكذا أراد النبي الكريم أن يُعلم الصحابة من بعده إذا بدأوا حديثًا أن يُتموه قبل أن ينتقلوا إلى غيره ، فأمهل النبي ﷺ الأعرابي وقتًا حتى انتهى من حديثه ؛ ليعلمه شيئًا من آداب السؤال بالموقف قبل أن يأتيه الجواب عما سأل عنه بالبيان.

وفي ذلك من آداب المتعلم كما يقول البدر العيني: " أن لا يُسأل العالم ما دام مشتغلًا بحديث أو غيره، لأن من حق القوم الذين بدأ بحديثهم أن لا يقطعه عنهم حتى يُتمه، وفيه الرفق بالمتعلم وإن جفا في سؤاله أو جهل ؛ لأنه عليه الصلاة لم يوبخه علي سؤاله قبل إكمال حديثه "[٣٦].

ومن اللافت للنظر أن قد جاء جواب النبي ﷺ عن ميعاد الساعة بالأمانة وتضيعها بدلًا من الجواب بتحديد موعد الساعة ؛ للدلالة على أهمية الأمانة ، وأن ضياعها ضياع للساعة ، وقد جاء الجواب الحكيم من النبي ﷺ بالأمانة بدلًا من تحديد ميعاد الساعة الذي سأل عنه الأعرابي ؛ للدلالة على أهمية الأمانة ومنزلتها ، وأن في إضاعتها إيذان بخراب الدنيا وفسادها ، وتناقض لما هي موجودة من أجله من الاستعمار والاستخلاف.

وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ.(٣٧)

وقد جاء أسلوب الحديث في هذا البيان النبوي مبنيًا على الحوار؛ لِيكون حافزًا لِتحريك الأحداث في هذا الجواب ، وممهدًا للغاية والهدف المنشود ، وبدأ الأعرابي كلامه بالأسلوب الإنشائي في قوله: (متى الساعة؟) طريقه الاستفهام، وقد اختار أداة الاستفهام (متى) المخصصة للاستفهام للماضي والمستقبل ، غير أنه أراد هنا الاستفهام عن المستقبل ، والسؤال بالأسلوب الإنشائي يدل على نفس الأعرابي الحائرة الملتاعة ، فهذا الأسلوب يتميز بروح حوارية ترتفع معها النغمة الصوتية المعبرة عن النشاط الانفعالي والنفسي .

وقد جاء هذا الأسلوب في بداية حديثه ؛ لِيخلق جوا من الحوار ينطبق بصفة عامة مع طريقة فهمه كأعرابي ، وتخلق " نمطًا حواريًا متجاوبًا بعبارات مختزلة , مما يعكس الحركة والنشاط على النص ويضفي على الإيقاع صفة التنوع بين الارتفاع والهبوط "(٣٨) .

وتكمن أهمية أسلوب الاستفهام في كونه يخلق جو " الحوار أو المناقشة بشكل من أشكال التواصل اللغوي تنتج به علاقات متشابكةُ ، وبه تبرز تفسيرات توضح ما كان مبهما، وتقدم معلومات، وبه كانت غائبة عن أحد طرفي الحوار، فالحوار أو المحاورة محاولة كلّ من طرفي الخطاب أو أحدهما إقناع الآخر بمنطقه في التفكير ووجهة نظره، فالحوار إذا منافسة أدلتها اللغة بمختلف صيغها وأساليبها "(٣٩).

ويُعلمنا النبي ﷺ طريقة الحوار من خلال مُضيه في حديثه مع الصحابة ﷺ وعدم التفاته إلى السائل ، حتى ظن الصحابة أنّ الرسول ﷺ لا يُريد الإجابة على سؤال الأعرابي ، أو أنه قد كره منه هذا السؤال، فمن كان آخذًا في حديث وكلام فليكمله أولًا، ثم تُعقب بالداخل على الحديث بعد ذلك.

وقد بُنيت الجمل في هذا الأسلوب الحواري على أسلوب الفصل ؛ حيث تُرك العاطف بينها يقول الكرماني : " فإن قلت لم ترك العاطف عند ذكر ألفاظ " قال سؤالا وجوابا؟، قلت: لأن المقام كان مقام مقاولة (٤٠) والراوي يحكي ذلك، كأنه لما قال الأعرابي ذلك، سأل سائل ماذا قال رسول الله، في جوابه وبالعكس "(٤١).

فالفصل هنا من قبيل شبه كمال الاتصال(٤٢) ، وهذا التحليل ناظر إلي قول الإمام عبد القاهر ، فيما جاء من القول مفصولًا في مثل هذا السياق ؛ حيث جعله من الاستئناف البياني ؛ لأنه "جاء علي ما يقع

في أنفس المخلوقين من السؤال ، فلما كان في العرف والعادة فيما بين المخلوقين ، إذا قيل لهم: دخل قوم علي فلان ، فقالوا: كذا، أخرج الكلام ذلك المخرج لأن الناس خوطبوا بما يتعارفونه ، وسلك باللفظ معهم المسلك الذي يسلكونه "(٤٣).

والسؤال الذي سأله الأعرابي كان عن وقت قيام الساعة، فمعلوم أن (متى) يستفهم بها عن الزمان (٤٤)، وكان مطابقة لهذا السؤال — ظاهرًا – أن تأتي إجابة النبي ﷺ إما بذكر ميعادها أو نفي العلم به، كما جاء في حديث سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان إذ جاء فيه: متى الساعةُ ؟ فأجاب النبي ﷺ: مَا المسئولُ عنها بأعلمَ مِن السائلِ "(٤٥).

فهذه الإجابة مطابقة تمام المطابقة لسؤال السائل ، أما هنا فقد أجاب النبي ﷺ بهذه الإجابة غير المتوقعة على خلاف مقتضى الظاهر : (فَإِذَا ضُيِّعَت الأَمَانَةُ فانتظِر السَّاعَةَ)، وفي إجابة النبي ﷺ على الأعرابي بقوله : (فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة) هي خلاف ما ينتظره الأعرابي، فهو ينتظر أن يُحدد له وقتًا تقوم فيه الساعة، لكنه أجابه بغير ما هو متوقع ، وعدل النبي عن إجابته عما يطلبه السائل إلى ما هو أهم منه على طريق الأسلوب الحكيم (٤٦)، إشعارًا بأن الانشغال بغيره أكثر أمنًا وأسلم طريقًا، وأبلغ حرصًا ، وتنبيهًا لما هو أهم وأولى ، وتوجيهًا للطريق السديد الأَسَد.

وكانت إجابة النبي الكريم بمثابة أن يقول له : كان الأولى بك أن تسأل عن علامات الساعة ، فهي لن تقوم قبل مقدماتها التي هي بمثابة علامات وإرهاصات لها ، إذا ما ظهرت فأصلح من نفسك، وترقب ظهورها، وهذا لا شك هو المنطق وهو من نظريات القول، والكلام الأتم المحكم.

وجاء استفهام النبي ﷺ عن السائل وعن تحديد مكانه ، وطلب رؤيته في قوله: (أين أُراه السائل عن الساعة؟) كُل ذلك ؛ لتحقيق البيان ووضوحه ؛ نظرًا لأهمية السؤال ، وتحقيقًا لموقع الجواب وأثره.

ومن البيان بالسكوت والجواب بالموقف – وهو من أنواع البيان الصامت(٤٧) ما جاء في حسن إنصات النبي ﷺ للسائل ، وتريثه في الإجابة عليه ؛ حيث استعان به النبي على قوة العبارة، وقد تمثل ذلك في الجملة المحكمة بالشرط والجواب (فإذا ضُيعت الأمانة فانتظر الساعة)، وتمثل حسن الإنصات في ظن بعض الصحابة أنه كره السؤال، أو أنه لم يسمع أصلًا؛ لعدم مسارعته بالجواب، وذلك قولهم: (فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال. وقال بعضهم: بل لم يسمع).

إن الانفعال المتوازن للمُربي مع الخطأ عند حدوثه، أو رؤيته، أو سماعه بحيث يُرى ذلك في وجهه ويُعرف في صوته وأسلوبه، هو: علامة حياة في القلب ضدّ المنكر، وعدم السكوت عليه ؛ حتى يقع في قلوب الحاضرين الرهبة من ذلك الخطأ، ويعمل الكلام وقت الانفعال في النفوس عمله المؤثر ، هذا بخلاف كتم الأمر أو تأخيره وعدم الانفعال أو التأثر به، فربما يبرد أو يزول أثر التعليق أو التوجيه للسائل .

ومما ازدان به هذا الأسلوب جمالًا أن الانفعال جاء استجابة للسياق والموقف، ومعالجة لما في نفس السائل، فكان متناغمًا متناغيًا، ولم يأت هكذا سُدًا، وغير خاف أن الانفعال إذا لم يأت استجابة للسياق والمقام فإنه يكون أشبه بالضجيج المَنَفِر ، وأبعد ما يكون عن استجابة المتلقي وجني الثمرة والمراد من الحديث.

وبعد أن انتهى الرسول الكريم من حديثه مع الصحابة توجه إلى ذلك الأعرابي بالسؤال عنه ، مستخدمًا الأسلوب الإنشائي (أين أراه السائل عن الساعة)، بأداة الاستفهام (أين) التي تُستخدم للسؤال عن المكان، فالنبي الكريم يريد تحديد مكانه؛ لِتعينه ولِتنبيهه للإجابة على سؤاله ومطلبه ، وفيه تعليم بالرفق من النبي الكريم لذلك الأعرابي الذي قطع حديثه مع الصحابة بسؤاله ، مما يدل على حرصه ﷺ بالسائل وبطالب العلم واهتمامه به.

وآثر التعبير بالإيجاز بالحذف في قوله: (فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة)؛ لتكثيف المعنى وتركيزه في كلمة (الساعة) في جوابه عن إضاعة الأمانة، فثمة كلام محذوف، والتقدير: الساعة لها أمارة وبيان (فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة).

فأجاب عن علامتها بتوسيد الأمر إلى غير أهله، ثم ذيل العبارة بقوله: (فانتظر الساعة)، مع أن ظاهر العبارة كان يقتضى أن يقول: (إذا وسد الأمر إلى غير أهله فتلك علامتها وأمارتها)، ومع أن التذييل ضرب من ضروب الإطناب وفن من فنون إطالة الكلام إلا أن النبي قد بناه على الإيجاز والاختصار فجاءت الزيادة والتكرار ؛ لاستدعاء المقام لها فكانت بذلك كالإيجاز في البلاغة والبيان سواء بسواء ، وتلك خُصوصية للنبي وسمة مميزة في تعابيره، وتعد من معالم البيان النبوي الشريف.

وقد حذف الفاء في قوله: (إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة)، وهي عاطفة على جملة محذوفة تقديرها: ترقب علامتها أو قيامها ، فإذا ضيعت الأمانة فانتظرها)؛ لِيلتحم الكلام التحامًا، ويتصل آخره بأوله دونما أدنى فاصل أو عاطف، فالكلام يصلح ظاهرًا بدون الفاء، لكن وجودها في صدر جواب النبي (فانتظر الساعة) دليل على أن هناك شيئًا أضمر"[٤٨].

وقد وضع المظهر موضع المضمر في قوله: (فانتظر الساعة)، وكان من الطبيعي بعد أن ذكر السؤال عن الساعة وذكرها صريحة –ومعلوم أن الحديث كُله يدور عليها –أن يُعاود الضمير عليها عند ذكرها ثانية فيقول: (فانتظرها)، ولكنه وضع المظهر (الساعة) هُنا؛ لبيان الاهتمام بها وتعظيم شأنها "فإذا كان الضمير يعطي إشارة ذهنية إلى العائد عليه هذه الإشارة تحضره في النفس إلا أن قدرا كبيرا منن التأثير يظل الاسم الظاهر محتفظا بها، ولا يستطيع الضمير حملها نيابة عنه؛ لأنها تتولد حين يقرع اللفظ السمع بجرسه، وارتباطاته المختلفة " [٤٩].

وهذا الأسلوب له موقعًا في النفس، "والموقع في النفس وبعث الأريحية هو من الكلمة من حيث هي صوت لكل جرس فيها خاطر سكن النفس مع هذا الجرس وانبعث به، وإلا فأي فرق بين زيد، والضمير العائد على زيد؟" (٥٠).

واختار البيان أداة القيد (إذا) بدلًا من (إنْ) في قوله: «فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة» دلالة على اطراد تضييع الأمانة في آخر الزمان ؛ لأن النحاة قالوا : (إذا) تدخل على المتيقن وجوده أو المترجح، أما (إنْ) فتدخل على المشكوك فيه. وانتقاء التعبير لتلك الأداة يفيد بأن الإخبار بتضييع الأمانة باعتبار كونها من علامات قيام الساعة أمر ثابت ومتيقن، فهو من دلائل نبوته ﷺ."(٥١) وما ذلك منا ببعيد.

وتضمنت إجابة النبي الكريم التعبير بتلك الجملة الخبرية الابتدائية (فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة) الخالية من المؤكدات؛ إذ المخاطب خالي الذهن لا يعرف شيئًا عن الساعة وعلاماتها، فاستدعى ذلك أن يسوق إليه الكلام خاليًا من المؤكدات؛ ليتناسب مع حالة السائل.

وفي مجيء الفعل (ضُيعت) مبنى للمفعول ، والأمانة نائب فاعل ؛ لأن المقصود الإخبار عن حدث ضياع الأمانة –وهو الحدث الجلل– لا الإخبار عن مُضيعها ، ولعل بناء الفعل هكذا للمجهول يشعر بخفاء الفاعل لا غيابه ، مع إرادة صون اللسان عنه فهو لا يستحق الذكر وإن كان ظاهرًا بين النّاس واليًا كان أو أميرًا، وفي صون اللسان عن ذكره كمال لبلاغة النبي ﷺ وعنايته بما هو أهم، وكما يدل دلالة واضحة أيضا على أن إضاعتها عملٌ مخالف يتسبب به انهيار في ذات الإنسان وفساد البشرية.

وجاء التعبير بـ (ال) في كلمة (الأمانة) للجنس؛ لتشمل جميع أنواع الأمانات فلم تحدد بنوعٍ أو مثل ، فأحدثت بهذا العموم نوعًا من الغموض؛ لذا احتاج السامع لمزيد من الإيضاح والإفهام، فجعل يسأل: كيف إضاعتها؟...فكان التحديد وإزالة الغموض والإبهام بالجواب المحدد (إذا وسّد الأمر إلى غير أهله).

وقد وقعت الفاء في قوله: (فانتظر الساعة) في جواب الشرط وجوبا، ولعل قائلًا يقول : لا يوجد تناسق بين زمن فعل الشرط الذي جاء بصيغة الماضي مبنيا للمفعول، وبين زمن جواب الشرط الذي جاء بصيغة الأمر، فكيف يؤمر السائل بانتظار حدث قد وقع؟ ! والأمر على خلاف ذلك ؛ لأن فعل الشرط ورد بصيغة الماضي لفظًا ومعناه يخلص للاستقبال لتحقق وقوعه ؛ على نحو قوله تعالى:چ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ چ (٥٢) ، بدلالة استخدامه (إذا) التي تدخل على المتيقن وقوعه ؛ لتحسن عند المتيقن وجوده.

وجاء التعبير بفعل الأمر: (انتظر) في قوله : "فانتظر الساعة" للدلالة على أنه لا يمكن أن يكون معناه طلب الانتظار حقيقة ، وإنما يستتبع الأمر بعمومه ، ففيها: الحث على العمل والإصلاح لا التواكل والعجز والتسليم لمقتضى الانتظار ، وإن كان في معنى الأمر رائحة التهديد والوعيد اللاحق لهؤلاء المضيعين

للأمانة ، وهو أشبه في الدلالة والبيان بقوله تعالى : {وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ}(٥٣)، أي: انتظروا ما يحل بكم، وهو أمر تهديد ووعيد (٥٤).

ولما كان بيان النبي ﷺ عامًا موجزًا ، لا يُعلم منه كيفية إضاعة الأمانة انشغل السائل بسؤال آخر فقال: كَيف إضاعتها؟، " وحسن استعمال (كيف) في السؤال لمعرفة أحوال إضاعة الأمانة؛... ذلك لأن كيف في هذا الشاهد اسم استفهام للسؤال عن الأحوال العامة "(٥٥).

وإذا في قوله: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة» (٥٦) وقعت شرطية أيضًا، وهي اسم لما استقبل من الزمان ، ولم تقرن هنا بالفاء كما جاءت مقرونة في قوله :(فإذا ضيعت...الخ) ، ولعلها هنا وقعت جوابا وتفسيرا وبيانا ابتداءً ؛ لتفصيل وبيان ما أجمل من إثارة الكلام بضياع الأمانة.

وفي إيثار (إذا) الشرطية دون (إن) دلالة على تحقق هذا الأمر وتفشيه بين النّاس ، وأنه واقع لا محالة.

ومجيء الفعل (وسّد) مبنيا للمفعول ، والأمر نائب فاعل؛ لأن المقصود الإخبار عن توسد الأمر لا الإخبار عن فاعله، وأن إضمار ذكره يشعر بإبهام حقيقة وجودهم وعدم إدراك الناس لهم ، وأن أعمالهم خبيثة ضارعت في خفائها خفاء إبليس فصاروا كالشياطين سواءً بسواء، شأنه في ذلك النسق شأن من ضيع الأمانة أولًا.

و(ال) في كلمة (الأمر) للجنس، والأمر كلمة عامة تشمل الأمانة وغيرها، فالأمر في قوله: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»، جِنْسُ الْأُمُورِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالدِّينِ كَالْخِلَافَةِ وَالْإِمَارَةِ وَالْقَضَاءِ وَالْإِفْتَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ "(٥٧)، ويُعد هذا من قبيل الجواب الحكيم الذي عدل فيه النبي ﷺ عما ينتظره السائل عن الأمانة إلى التعميم بهذه الكلمة البليغة المحكمة (الأمر)، يقول ابن بطال: " فأجاب ﷺ بجواب عام دخل فيه تضييع الأمانة ، وما كان في معناها مما لا يجرى على طريق الحق ، كاتخاذ العلماء الجهال عند موت أهل العلم ، واتخاذ ولاة الجور وحكام الجور عند غلبة الباطل وأهله ، وقد ذكر ابن أبي شيبة من حديث المقبري عن أبي هريرة قال : قال النبيﷺ : " سيأتي على الناس سنوات خدّاعات يصدق فيها الكاذب ، ويكذب فيها الصادق ، ويؤتمن فيها الخائن ، ويخون فيها الأمين ، وينطق الرويبضة . قيل: وما الرويبضة ؟ قال : الرجل التافه في أمر العامة ". وقد رأينا أكثر هذه العلامات وما بقى منها فغير بعيد .

وتتمثل بلاغة التعبير بتخصيص وصف (أهل) بالإضافة في قوله: إلى غير أهله" دون قوله : (إلى غير أصحابه، أو إلى غير ذويه) ؛ للتنبيه على خطورة الأمر وبلوغه النهاية في ضياع الحقوق؛ إذ أهل الأمر هم عصابته وأرحامه فهم أولى النّاس به دون غيرهم ، فالإضافة تشعر بلزوم المضاف لما يضاف إليه فكيف يوسد الأمر إلى غير ملزومه وما اختص به، ليصبح المتوسد إلى غير ما هو له كالدعي إلى غير أبيه وذلك أشنع في تبشيع هذه الصورة والتحذير منها، وذلك لما يحمله مثل هذا الادعاء من النفور في قلوب

المسلمين والتخويف منها[٥٨]، ولا شك أن الاعتداء على أصحاب الحقوق المتأهلين لتقليد المناصب فيه من الفساد العريض ومن تضييع الأمة ما ليس في غيره.

وجاء التكرار بإعادة الجزاء مرة أخرى بلفظه في قوله: (فانتظر الساعة)؛ للدلالة على أنّ عاقبة الأمرين واحدة ، فإن جملة الجواب محذوفة تقديرها: (إذا وسد الأمر إلى غير أهله فقد ضاعت الأمانة ، فانتظر الساعة)، و(الفاء) الثانية عاطفة ؛ لتفريع ما يترتب عليه ضياع الأمانة من آثار .

يقول الشراح: " الْفَاءُ لِلتفْرِيعِ، أَو جواب شرطٍ محذوف أي إذا كان الأمر كذلك فانتظر"[٥٩].

إن المعنى الذي ينطوي عليه دلالة الفعل (فلينتظر الساعة) هو الإخبار بانتهاء الأمر ، فمفاد الجملة وهي تنزع هذا المنزع الإخباري أن توسيد الأمر إلى غير أهله مؤذن بزوال الدنيا لفسادها بذلك واختلال ميزانها، فهو من أشراط الساعة وقرب وقوعها، فكأنه قيل إذا وسّد الأمر إلى غير أهله فقد انتهى الأمر فانتظر الساعة.

وقد ورد الأمر في سياق الشرط للدلالة على العموم والشمول من جهة، والدلالة على سرعة الأمر من جهة أخرى، فيحذر الراعي أن يوسد الأمر إلى من ليس له من خلال هذا الأسلوب المنفر، وبه تتعمق دلالة الأمر، وسر العدول عن الخبر الصريح إلى صيغة الأمر الدلالة على وجوب الساعة وزوال الدنيا وأنه مفعول لا محالة، إذ الأمر كما يقول الأصوليون يقتضي الفور[٦٠].

والإتيان بلفظ الأمر والعدول عن الخبر في جواب الأعرابي أفاد بلاغة وقوة تعبير وتأثير لما له من دلالة الحسم والردع.

وقد جاء الأمر برفقة الفعل الماضي مع إذا لإشعار المتلقي بتيقن الحدوث وأنه لا محالة واقع.

وهكذا نرى التعبير النبوي يعدل عن أن يعطينا الحقيقة مجردة جافة، بل يأتينا بها من خلال صيغ الأمر في صور خلابة مفتّنة ترسخ المفهوم وتؤكده في ذهن المتلقي، فتتحقق المشاركة والتأثير والمتلقي [٦١].

وفي قوله: (وسد الأمر) استعارة مكنية إذ " الوسادة والوساد المخدة ، والوساد المتكأ "[٦٢]، وكان من شأن الأمير أو السيد عند العرب " إذا جلس أن تثنى تحته وسادة "[٦٣]، فشبه النبي إسناد الأمر إلى غير صاحبه وهو الدين والخلافة بالوسادة اتكأ عليها من ليس أهلًا لها، عندما يترأس الناس أشخاص جهال، وفي ذلك من تحقير هؤلاء وإهانتهم ما فيه؛ لأن وسادتهم تلك وسادة زائفة.

واستعارة المحسوس للمعقول هنا إفادة تجسيم المعنوي وتشخيصه حتى أصبح صورة شاخصة يراها الناظرون، فيزداد نفورهم منها ويشتد ابتعادهم عنها.

وأتي النبي ﷺ بحرف الجر " إلي " في قوله: " إِلي غَيرِ أَهلِهِ " بدلًا " اللام " ليدل علي تضمين قوله : " وسد " معني الإسناد[٦٤] ،كما أومأ حرف الجر " إلي" بأن توسيد الأمر في ذلك الزمان غايته ومنتهاه إلي غير أهله، وجاء جواب الشرط قوله: " فانتظِر السَّاعَةَ"، وذلك "ليسلك في الجواب الثاني مسلك الجواب

الأول ليتسق الكلام"[٦٥]، وهذا من حسن اتساق الكلام وتناغم السياق في التعبير عن الحدث، وكذلك للتأكيد علي أن الأهم للمخاطبين هو التهيؤ والاستعداد للساعة، فهذا هو المقصد من الحديث عن أماراتها.

وفي إيثار التعبير بلفظة (الساعة) دون غيرها كالقيامة أو الصاخة؛ للدلالة على شدة اقترابها ودنوها، وهي في النسق على منهاج قوله تعالى: **(وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ)** [٦٦].

وهي عبارة عن جزء قليل من النهار أو الليل يقال: جلست عندك ساعة من النهار، أي وقتًا قليلًا منه، وتطلق " الساعة " علي الوقت الذي تصعق فيه العباد، والوقت الذي يبعثون فيه وتقوم فيه القيامة، وسميت " ساعة " لأنها تفجأ الناس في ساعة فيموت الخلق كلهم عند الصيحة الأولي[٦٧]، فالساعة "أصبحت علماً بالغلبة علي ساعة البعث والحشر "[٦٨].

فالحديث في جملته بيانٌ صادح بالنبوة ، يخبر فيه النبي من الأمور الغيبية ، والتي يشفق على الأمة فيها من بعده لتمثل دليلًا كاشفًا من دلائل نبوته سيقع بعد مماته أمده الله –تعالى– به ؛ ليكون حجةً على صدق رسالته وصدق دعوته إلى الله –تعالى–، فلعل من يشاهد تلك العلامات –أعاذنا الله من فتن الدنيا – يقول هذه بعض العلامات التي أخبر الصادق المصدوق فيقوى إيمانه ويثبت يقينه في مواجهة تلك الفتن.

وفي إجابة النبي ﷺ درس علمي من أعظم دروس علم الإدارة، فإن إسناد أمر من أمور المجتمع إلي من ليس أهلا له، أو إلى من لا يستحقه يعد ضياعًا لأمانة المسؤولية، وهذا ما حذرنا منه النبي ﷺ، وهو ما أكدت عليه علوم الإدارة الحديثة، بأن من أكبر السلبيات الإدارية المدمرة إسناد مهمة أو شأن إلي من لا يتقنه [٦٩].

فهل يمكن لنا قراءة هذه الجمل النبوية قراءة جديدة تليق بكلام النبوة وتتعاطى تأويلها على أنها ضَرْبُ مثل للحث على بعث الحياة مرة أخرى وتجديد العهد مع الله والاجتهاد في عمارة الأرض.

وهل تتعلم الأجيال أن تقرأ مثل هذا البيان الهادف وتجعلَ منه صورة حية متجددة تقيم ما اعوجّ من الأمر وتصلح ما أفسده الدهر وتهدي إلى سواء السبيل؟

فلو وسد الأمر لأهله في شتى المجالات لعمرت الأرض واستقرت وكنا خير أمة أخرجت للناس كما قال الله تعالى، ويتضح من خلال الحديث الشريف أن بزوال الخيرية إيذان بزوال الدنيا وقيام الساعة.

ومن أحاديث سؤال الأعرابي عن الساعة

عَنْ أَنَسٍ بن مالك أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ قَائِمَةٌ قَالَ وَيْلَكَ وَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا قَالَ مَا أَعْدَدْتُ لَهَا إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَالَ إِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ فَقُلْنَا وَنَحْنُ كَذَلِكَ قَالَ نَعَمْ فَفَرِحْنَا يَوْمَئِذٍ فَرَحًا شَدِيدًا فَمَرَّ غُلَامٌ لِلْمُغِيرَةِ وَكَانَ مِنْ أَقْرَانِي فَقَالَ إِنْ أُخِّرَ هَذَا فَلَنْ يُدْرِكَهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ "(٧٠).

يُعلمنا الرسول الكريم ﷺ أن وَقْتُ قِيامِ السَّاعةِ مِنَ الغَيبيَّاتِ الَّتي استأثرَ المولى –سُبحانه – بها، ولم يُطلِعْ عليه أَحدًا؛ ولذلك فمن الواجب ألا يَنشغِلُ المؤمنَ بِمَوعدِ قيامِها، وإنَّما يَجِبُ أنْ تَنصرِفَ هِمَّتُه إلى ما يتزود به إليها وما يُعدُ لها مِنَ العملِ.

سلك النبي الكريم مع السائل الأسلوب الحكيم وهو: تلقى السائل بغير ما يطلب مما يُهمه أو ما هو أهم ، قال الطيبي : سلك مع السائل طريق الأسلوب الحكيم ؛ لأنه سأل عن وقت الساعة وإبان إرسائها، فقيل له: فيم أنت من ذكراها ؟ وإنما يهمك أن تهتم بأهبتها ، وتعتني بما ينفعك عند إرسائها من العقائد الحقة والأعمال الصالحة." (٧١).

في هذا الحديث جاء الأسلوب الحكيم في جواب الرسول للصحابي بغير ما كان يتوقع؛ إذ كان جوابه غير مطابق للسؤال، وكان فيه إرشاد للصحابي لم هو الأولى والأجدر، فإن قلت : كيف طابق "ما أعددت لها للسؤال ؟ قلت: سلك مع السائل طريق الأسلوب الحكيم، وهو تلقي السائل بغير ما يطلب مما يهمه " (٧٢).

وذكر الخطابي في شرحه ما يدل على حسن جواب النبي ﷺ على السائل، وشفاؤه لما في صدره، وذلك أن السائل عن الساعة لم يكن سؤاله واضحًا، فقد "كان سؤال الناس رسول الله ﷺ عن قيام الساعة على وجهين:

أحدهما: على معنى التعنت له والتكذيب بها.

والآخر: على سبيل التصديق بها والشفق بها، فلما قال البدوي: متى الساعة؟ اختبر النبي ﷺ حاله بقوله : ما أعددت لها؟ ليعلم هل هو ممن يسأل عنها عنتا؟ أو ممن يسأل شفقا وحذرا، فلما ظهر له إيمانه بالله ورسوله وتصديقه بالبعث قال له: أنت مع من أحببت، فألحقه بحسن النية من غير زيادة عمل بأصحاب الأعمال الصالحة "(٧٣)، وهذا من حسن التخلص من السؤال للجواب ومن فقه الرد على السائل.

وجاء التعبير بـ(ويلك) من النبي الكريم؛ لقصد التعجب والتعنيف من النبي –ﷺ للأعرابي؛ لِينشغل بما هو أهل له وبما ينفعه في الدنيا من العمل الصالح، فيكون همه عمل الخيرات وترك المنكرات وعدم الانشغال بوقت قيام الساعة فلا يعلمها إلا الله، وليس المقصود بـ(ويلك)، وهي وإن لم يقصد بها الدعاء على الأعرابي، وإنما تتضمن تلك الكلمة المعنى السابق المشار إليه، إلا أنها تظل كلمة شديدة قارعة، فقد آثرها النبي ﷺ

دون (ويحك)[٧٤]؛ لأنها كلمة شديدة قارعة، تحمل معنى الزجر والردع للأعرابي عن السؤال عما لا يهمه، والاشتغال بدلًا من ذلك بما فيه النفع والنجاة.

وظهر هذا التعجب من سؤال الأعرابي في توجيه الرسول ﷺ الإجابة عن طريق السؤال (وما أعددت لها؟)، أجاب النبي عن طريق توجيه السؤال بالأسلوب الإنشائي طريقه الاستفهام؛ لِيُبين نفس النبي الهائجة من سؤال الأعرابي عن موعد قيام الساعة، فيقول له الأولى والأجدر بك أن تكون مُستعدًا لِقيامها بصالح الأعمال، فما الفائدة من معرفة وقتها دون تقديم الأعمال الصالحة التي تُنجي منها، وتُلطف من أحداثها، وتنجو بصاحبها إلى الجنة.

وقوله: (وما أعددت لها؟) هذا من روعة البيان، ففيه من براعة الأسلوب وتصحيح المفاهيم ما فيه، كأنه قال له : إذا عرفت أن الساعة غداً، أو بعد غدٍ ، ما الذي يفيدك؟ أي : لا يفيدك إلا ما أعددته للساعة ، فصحح له السؤال وهذا من بلاغة الأسلوب الحكيم الذي انطوى عليه أسلوب الحديث ، وآثر كلمة (أعددت) بجرسها الشديد القوي ووقعها الحاسم دون غيرها (كعملت أو فعلت)؛ لما تحمله من معنى التأهب والاستعداد، كما في قوله تعالى: " وأعدوا لهم "[٧٥] إذ العدة لا تكون إلا في المعارك الكبيرة أو القضايا الفاصلة، وهذا من قوة التعبير ودقته في الرد على الأعرابي، وهي كذلك مناسبة لبيئته الجادة الخشنة.

ويُظهر الأعرابي مكنون حبه وخلاصة عمله وثمرته في قوله : (ما أعددت لها إلا أني أحب الله ورسوله) وهذا من القصر الحقيقي الادعائي ، لأنه "منظور فيه إلى الادعاء والافتراض بجعل ما عدا المقصور عليه في حكم المعدوم، وسمي هذا القصر حقيقيا، لأن القصر فيه بالنسبة إلى جمع ما عداه ولو فرضًا"[٧٦]، طريقه النفي والاستثناء؛ لِيؤكد على عظيم حُبه لله ولرسوله، فإنه مسلم، ولابد أنه أعد للجنة الكثير من الأعمال بدءًا من الشهادة وإقام الصلاة ، وغير ذلك، ولكنه قصر إعداده للجنة على حب الله ورسوله، وذلك لأن هذه الفرائض كلها تتضاءل أمام قوة هذا الحب، ففيه مبالغة لوصف هذا الحب.

وجاء التأكيد من النبي ﷺ على فوز الأعرابي ونجاته بهذا الحب بقوله: (إنك مع من أحببت) أي ملحق بهم حتى تكون من زمرتهم، وهو أسلوب مؤكد بـ (إن)؛ للتأكيد على استقراره مع من أحب؛ نظرًا لما رآه من صدق في قوله، وقد أكد النبي ﷺ على وجود الأعرابي مع من أحب مع أن الأعرابي لم يظهر عليه علامات الإنكار، ولكن الرسول الكريم أراد أن يؤكد كلامه له وللمسلمين جميعًا على عظيم مآل من كان صادقًا في ذلك الحب، وقد نزل المخاطب غير المنكر منزلة المنكر؛ لِعظم المنزلة التي تنتظره والمبالغة في التأكيد على هذا الخبر العظيم، " وَبِهَذَا يندفع إيراد أن منازلهم متفاوتة فكيف تصح المعية؟ فيقال : إن المعية تحصل بمجرد الاجتماع في شيء ما، ولا تلزم في جميع الأشياء، فإذا اتفق أن الجميع دخلوا الجنة صدقت المعية، وإن تفاوتت الدرجات "[٧٧]، إلا أن فيها من التحفيز والترغيب في صحبة هؤلاء والارتفاع معهم في أعلى المنازل بصدق المحبة ما فيه.

وقد أفاد أسلوب القصر هنا الإيجاز في ذكر الأعرابي حُبه لله ولرسوله ولم يذكر ما بناه وأوصله إلى تلك المنزلة من العبادات والامتثال لأوامر الله –تعالى– وتوجيهات نبيه –الكريم–، كما أفاد التأكيد والمبالغة على ذلك الحُب العظيم الذي فاق به جُل العبادات، وليؤكد على أنّ هذا الحُب هو أفضل العبادات على الإطلاق.

ويظهر حرص الصحابة الكرام على التمسك بطرق الفوز والاستفسار عن كون هذا الحكم أمر خاص للأعرابي أم أنه يشمل المؤمنين جميعا، (فَقُلْنَا وَنَحْنُ كَذَلِكَ قَالَ نَعَمْ فَفَرِحْنَا يَوْمَئِذٍ فَرَحًا شَدِيدًا فَمَرَّ غُلَامٌ لِلْمُغِيرَةِ وَكَانَ مِنْ أَقْرَانِي فَقَالَ إِنْ أُخِّرَ هَذَا فَلَنْ يُدْرِكَهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ).

عبر الصحابة عن رجائهم بأن تشملهم المعية ويكونون في صحبة الله ورسوله عن طريق أسلوب الإيجاز في قولهم (ونحن كذلك)، أي: ونحن كذلك مع من نُحب يا رسول الله، والايجاز من أعلى درجات البلاغة، والتعبير به من الصحابة له مكانته، فهم يُخاطبون أفصح العرب، فتخيروا من أسلوبهم ما يتناسب مع الأسلوب النبوي، وجاءت الإجابة من نبي الرحمة كذلك موجزة بليغة بـ(نعم)؛ إذ حوت هذه الكلمة في طياتها جملة أخرى ، والتقدير: نعم أنتم كذلك، وفيه من حسن الاتساق ومطابقة الجواب للسؤال ما فيه من البلاغة والبيان، وجاءت هذه الإجابة لتثلج صدور الصحابة رضوان الله عليهم، ولِتُثلج صدورنا وصدور كل المؤمنين، وذلك ما عبر عنه الصحابة الكرام عن طريق الجملة الخبرية (فَفَرِحْنَا يَوْمَئِذٍ فَرَحًا شَدِيدًا)، والحقيقة أنّ كُل من سمع الحديث وسمع هذه الإجابة تنثال من فم النبي ﷺ من حقه أن يفرح إلى يوم يُبعثون، فاللهم إنا نُشهدك أننا نُحبك ونُحب نبيك الكريم فاحشرنا يا ربنا مع نبيك محمد ﷺ .

وجاء التمثيل في قول النبي ﷺ بالغلام في قوله: (فَمَرَّ غُلَامٌ لِلْمُغِيرَةِ وَكَانَ مِنْ أَقْرَانِي فَقَالَ إِنْ أُخِّرَ هَذَا فَلَنْ يُدْرِكَهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ)؛ لِيُبين به حقيقة الدنيا وللتقريب في نهايتها، وللمبالغة في تقريب وقت قيام الساعة، وليس الأمر في التصوير بالغلام على حقيقته بأن الساعة تقوم قبل أن يصل هذا الغلام إلى سن الهرم، ولكن التصوير للتمثيل والتقريب بأن حقيقة الدنيا قصيرة جدًا والساعة قريبة جدًا.

وإيثاره اسم الإشارة في جانب المشبه به (ونحن كذلك)؛ لتميزه وتحديده وتعينه على أكمل وجه وأتم صورة، أي ونحن مثل هؤلاء إن صدقنا المحبة في رفع الدرجات وعلو المنزلة وحسن الصحبة، وهو في السياق والبيان كقوله تعالى: "كذلك كنتم من قبل"[٧٨] أي: مثل ذلك كنتم من قبل، فالآية مسوقة لتشبيه حالتهم الراهنة بحالتهم التي كانوا عليها من قبل، إلا أنه آثر اسم الإشارة في جانب المشبه به في الآية؛ للدلالة على تميزهم وتحديدهم بأنفسهم وذواتهم.

وبهذا يقتضي فرح الأعرابي بالمعية مع النبي ﷺ، ولكن هل المقصود بالمعية هنا المماثلة والملاصقة؟ يقول ابن حجر:"وَبِهَذَا يَنْدَفِعُ إِيرَادُ أَنَّ مَنَازِلَهُمْ مُتَفَاوِتَةٌ فَكَيْفَ تَصِحُّ الْمَعِيَّةُ فَيُقَالُ إِنَّ الْمَعِيَّةَ تَحْصُلُ بِمُجَرَّدِ الِاجْتِمَاعِ فِي شَيْءٍ مَا، وَلَا تَلْزَمُ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ، فَإِذَا اتُّفِقَ أَنَّ الْجَمِيعَ دَخَلُوا الْجَنَّةَ صَدَقَتِ الْمَعِيَّةُ وَإِنْ تَفَاوَتَتِ

الدَّرَجَاتُ وَيَأْتِي بَقِيَّةُ شَرْحِهِ فِي الْبَابِ الَّذِي بَعْدَهُ قَوْلُهُ فَقُلْنَا وَنَحْنُ كَذَلِكَ قَالَ نَعَمْ هَذَا يُؤَيِّدُ مَا بَيَّنْتُ بِهِ الْمَعِيَّةَ لِأَنَّ دَرَجَاتِ الصَّحَابَةِ مُتَفَاوِتَةٌ قَوْلُهُ فَفَرِحْنَا يَوْمَئِذٍ فَرَحًا شَدِيدًا"(٧٩).

والمعية وإن لم تكن تعني المماثلة وأنهم في نفس الدرجة مع النبي ﷺ إلا أنها تُشعر برفعة المحب وعلو درجته وبمدى قربه من رسول الله ﷺ فلابد من ابقاء دلالة المعية في النص ؛ للترغيب الشديد والحث الأكيد ، وإلا لم تكن للمعية معنى ولا أثر داخل النص، وهذا هو ما فهمه القرطبي من دلالة المعية في هذا السياق وفرح الصحابة بها بقوله : " وإنَّما كان فرحهم بذلك أشد؛ لأنَّهم لم يسمعوا أن في أعمال البر ما يحصل به ذلك المعنى من القرب من النبي ﷺ والكون معه، إلا حب الله ورسوله، فأعظم بأمر يلحق المقصر بالمشمر، والمتأخر بالمتقدِّم"(٨٠).

ويحتمل أن يكون المراد بقوله : " حتى تقوم الساعة " المبالغة في تقريب قيام الساعة ، لا التحديد، كما قال في الحديث الآخر (بعثت أنا والساعة كهاتين)، ولم يرد أنها تقوم عند بلوغ المذكور الهرم.

وهذا عمل شائع للعرب يستعمل للمبالغة عند تفخيم الأمر ، وعند تحقيره ، وعند تقريب الشيء، وعند تبعيده، فيكون حاصل المعنى : أن الساعة تقوم قريبا جدا، وذا الاحتمال الثاني جزم بعض شراح المصابيح، واستبعده بعض شراح المشارق، وقال الداودي : المحفوظ أنه ﷺ قال ذلك للذين خاطبهم بقوله: (تأتيكم ساعتكم) يعني بذلك موتهم، لأنهم كانوا أعرابا فخشي أن يقول لهم لا أدري متى الساعة فيرتابوا فكلمهم بالمعاريض(٨١).

٢– بلاغة جواب النبي– صلى الله عليه وسلم – للأعرابي في معرض الثبات واليقين.

عنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلّم غَزْوَةَ نَجْدٍ، ، فَلَمَّا أَدْرَكَتْهُ الْقَائِلَةُ وَهْوَ فِى وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ، فَنَزَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَاسْتَظَلَّ بِهَا وَعَلَّقَ سَيْفَهُ، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِى الشَّجَرِ يَسْتَظِلُّونَ، وَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَعَانَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلّم فَجِئْنَا، فَإِذَا أَعْرَابِىٌّ قَاعِدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: " إِنَّ هَذَا أَتَانِى وَأَنَا نَائِمٌ، فَاخْتَرَطَ سَيْفِى فَاسْتَيْقَظْتُ، وَهْوَ قَائِمٌ عَلَى رَاسِى، مُخْتَرِطٌ صَلْتاً، قَالَ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّى قُلْتُ اللَّهُ. فَشَامَهُ، ثُمَّ قَعَدَ، فَهْوَ هَذَا». قَالَ وَلَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلّم"(٨٢).

جاء الحديث الشريف في سياق ذكر النبي ﷺ كيفية تكفل الله –تعالى– بحمايته من القتل، وما أشبه هذه الحادثة بغيرها من الحوادث التي عصم الله نبيه من النّاس، ويظهر من خلال منطقه الكريم شجاعته ﷺ المطلقة وعدم تسلل الخوف إلى قلبه في أصعب المواقف وأخطرها حتى وإن كان السيف أعلى رقبته وهو أعزل، كما يظهر يقينه التام بحماية الله – تعالى– له، وأثر التوكل على الله في النجاة من الشدائد، كما أفاد الحديث عفو النبي الكريم وحلمه البالغ في عدم معاقبة الأعرابي وحسن معالجته للأمر ، مما كان له غالب الأثر في دخول الأعرابي في الإسلام هو وغيره.

استفتح النبي الكريم حديثه الشريف بالأسلوب الخبري (إن هذا أتاني وأنا نائم)، وهي جملة خبرية أراد النبي أن يشرح لأصحابه سبب استدعائه لهم، وجاءت (إن) المؤكدة في صدر هذا البيان لترسم صورة الحوار بين النبي وبين أصحابه فقد دعاهم وقت الظهيرة وقد تفرقوا تحت الشجر للمقيل، فجاءوا ليجدوا هذا الأعرابي موثوقًا بين يدى النبي، مما جعل لديهم حالة من الدهشة والاستغراب، فكانت (إن) في الجواب لإزالة تلك الدهشة لديهم ومحو هذا الاستغراب، وقد أثارت سؤالًا كامنًا في نفوسهم: لما دعوتنا في هذه الساعة يا رسول الله؟ فقد أنزل النبي ﷺ الصحابة غير المنكرين منزلة المنكرين؛ لما بدى عليهم من علامات الاستغراب على طريقة الاستئناف البياني(٨٣)، فجاءت (إن) في هذا الجواب؛ لإزالة هذا الاستغراب، وكأن النبي ﷺ كان يقرأ ما في نفوسهم فيعبر لهم عما يتفق مع حالتهم ، فالصحابة يتعجبون من هول الموقف كيف وصل هذا الأعرابي إلى النبي؟ وهم حوله.

ومن بديع النظم فى هذا السياق وإيثار لفظ (الإتيان) دون المجيء وذلك لما يشعر به من سهولة ويسر يقول الفيروز أبادى فى ذلك "الإتيان هو مجيء بسهولة ومنه قيل للسيل المار على وجهه أتى وأتاوى"(٨٤)، دلالة على مقصد هذا الأعرابي للنبي وكأنه كان يعرفه، وترى عصمة النبي ماثلة أمامك ، وفيه دلالة على أن الأعرابي ليس كأي أعرابي، إنما هو سريع متمكن وكأنه صعلوك من صعاليك الجاهلية في سرعة سطوه ، خفيف القدم سريع اليد؛ إذ كيف وصل للنبي والصحابة متفرقون من حوله.

وقد جسدت الجمل الخبرية أجزاء المشهد في قوة ووضوح ، وهي أجزاء تكمل بعضها بعضًا حتى تكون مشهدًا قصصيًا متكاملًا بداية من رسم مشهد نومه صلى الله عليه وسلم وقد أتاه الأعرابي....

وتأتي الجملة الحالية (وأنا نائم) المفعمة بالبلاغة، وهي جملة حالية برابط الحال (الواو)؛ لبيان حال النبي ﷺ بأنه كان مستغرقًا في النوم ولم يكن مستعدًا لهذا الأعرابي، مما جعل الأعرابي متمكنًا منه، فجاءت جملة الحال؛ لتظهر شدة تمكن هذا الأعرابي من النبي، وليشرح لأصحابه كيف كان الوضع في بداية الأمر، فالصحابة عندما جاءوا إلى النبي وجدوا هذا الأعرابي وضيع بين يدي رسول الله، فأراد النبي أن يشرح لهم بداية الأمر وكيفية تمكن هذا الأعرابي منه؛ لكونه كان نائمًا والأعرابي متمكنًا منه قبل أن ينقلب الوضع ويراه الصحابة ذليلًا بين يدي رسول الله.

ثم تأتي الجملة الثالثة ؛ لترسم مشهد السرعة والهجوم (فاخترط سيفي) بالفاء والفعل الماضي، أي: سله في سرعة وقوة استعدادًا للقتل"(٨٥)، لترسم صورة سل السيف من غمده، وتصور ظن الأعرابي التمكن من النبي، وفي وصول الأعرابي إلى النبي ﷺ دليل على قدرته ودهائه وخبرته في ذلك، فأراد أن يصل إلى النبي وهو في صورة الأعرابي الأعزل غير متقلد السيف؛ حتى لا يراه الصحابة فيمنعوه من الوصول.

فيصور النبي ﷺ سرعة الأعرابي في سل السيف وتمكنه من النبي وكأنه جاء مستلًا للسيف، دل على ذلك اقتران الفعل بـ(الفاء)؛ ليدل على سرعة انقضاضه.

وكان التعبير بالفاء والجملة الفعلية (فاستيقظت) ؛ للدلالة على سرعة تنبه النبي ﷺ إلى ذلك الأعرابي، ففيه دليل على أن النبي ﷺ ينام نومة اليقظ الحذر؛ ففيها لطيفة جميلة أن من يحمل همَّ الأمة لا يستطيع النّوم وإن نام فهو بين بين، أو أنه ﷺ تنام عينه ولا ينام قلبه، كما أخبر ﷺ في حديث عائشة " فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَتَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ ؟ قَالَ : يَا عَائِشَةُ ، إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ ، وَلاَ يَنَامُ قَلْبِي"(٨٦) .

وتلك الأحداث التي مرت من تسلل الأعرابي ووصوله إلى النبي ﷺ وتمكنه من سيف النبي، واستلال السيف وتمكنه من النبي، وسرعة تنبه النبي لذلك الأعرابي مرّت في سرعة متناهية دلت عليها (الفاء) ، ودليل على ما تفعله الفاء في السياق، فالحديث مبني على السرعة وكأنه قصة قصيرة دارت أحداثها في وقت قليل.

وقد قام الأسلوب الخبري يرسم الصورة المتمكنة (وهو قائم على رأسي، مخترط صلتًا)، أي: السيف موجهٌ إلى رأسه الشريف (صلتًا) مجردًا من غمده، فأظهرت الكناية في قوله: (قائم على رأسي) معنى التمكن الذي وصل إليه هذا الأعرابي من النبي ﷺ ، فأصبح متمكنًا أيما تمكن والتي أفصحت عنها تلك الجملة، التي هي من بيان النبوة تدل على تمكن النبي الكريم من مفردات اللغة وطواعيتها له.

وإيثار النبي ﷺ لهذه الكلمة (اخترط) دون غيرها وتكرارها في الحديث ؛ لما تحمله في جرسها ووقعها من معاني الشدة والعنف والاضطراب معًا، وكيف كان هذا الأعرابي في حالة نفسية انتقامية مضطربة، وكيف نجى الله نبيه منه على تلك الحال الموتورة.

ثم بدا مشهد الغرور وخدعة التمكن (قال: من يمنعك مني؟) المتمثل في الاستفهام المجازي الذي يتضمن معنى الإنكار والتهكم الناتجين من شدة التمكن، فلما ظن الأعرابي أنه قد تمكن من النبي ﷺ شدة التمكن حتى أصحابه لو أتوا لا يستطيعون اللحاق لنصرته، تهكم على النبي وأنكر أن يكون هناك من يستطيع إنقاذه.

ولكن النبي الكريم صاحب اليقين التام أن الله معه ولن يتركه وهو حافظه أجابه إجابة كانت كفيلة بخلع قلبه من مكانه، وألقى الرعب في قلبه بقوله: (قلت الله) أي: الله يمنعني منك، "في جملة خبرية اشتملت على الإيجاز بالحذف، ودلت بجلاء تام على الثبات واليقين وصدق النبوة "[٨٧]، وكان التعبير بالإيجاز بالحذف بحذف جملة (يمنعني منك) في أعلى درجات البلاغة؛ إذ عمد النبي بأن يقرع سمعه بهذه الكلمة الجليلة (الله) وأن تستقر وحدها في روعه، فالموقف لا يحتمل إطالة الكلام، فكان جوابه ﷺ في غاية الروعة والبلاغة ، وعبر النبي الكريم بما يقتضيه المقام.

وهنا تتجلى العصمة باليقين التام من النبي الكريم بحفظ الله له وحمايته من القتل من المشركين، وقد أوضح الله – تعالى– في كتابه الكريم أنه لن يستطيع أحد من المشركين قتل النبي ﷺ ، وأظن أنه قد وضح في قوله تعالى: " قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" [٨٨] ، فلو قال –تعالى– فلم تقتلون أنبياء الله وسكت لظن اليهود بما أن شيمتهم قتل الأنبياء أنهم يستطيعون قتل رسول الله أيضا، لكن انظر إلى الكلمة البليغة الحاسمة "من قبل" كأن هذه مسألة وانتهت، أي اقطعوا الأمل في أن تفكروا في قتل محمد ﷺ، وكل هذا بفعل كلمة "من قبل" التي حسمت الموقف بالنسبة لليهود وآمالهم في أن يقتلوا محمداً ﷺ كما فعلوا بالأنبياء السابقين، كذلك قطعت الطريق على المشركين أيضًا أن يتسلل إلى أذهانهم أنهم قادرون على هذا الفعل ، وهناك الكثير من المواقف التي نجى الله –تعالى– نبيه ﷺ من محاولة قتله من قِبَل المشركين.

وهذا المشهد الذى ارتسمت فيه الحركة بقوتها وعنفها نراه ينتهي بهزيمة المغرور المنتشي ؛ ليتحول عن قلعته إلى حضيضه ، ومن الكِبر إلى الذل، إلى مشهد حركي آخر يناقض سابقه عندما (اخترط السيف) إلى إغماده (فشامه ثم قعد فهو هذا) ، فيتحدث النبي عن حال الأعرابي بعد أن سمع إجابة النبي في ثبات ويقين (فشامه ثم قعد) فسقط السيف من يده وأعاده في غمده وقعد.

وهنا عبر النبي ﷺ بأداة العطف (ثم)؛ ليُدلل على أن الموقف هدأ وانتقل من السرعة التي استخدم معها حرف العطف (الفاء) إلى الهدوء والتراخي الذي ظهر على الأعرابي عندما واجهه النبي ﷺ باليقين التام والشجاعة وعدم الخوف منه.

ثم يؤكد النبي ﷺ لأصحابه الكرام على أنه هو الأعرابي من خلال تعريفه بالضمير والإشارة إليه (فهو هذا)؛ ليُعرفه للصحابة ويُميزه لهم أكمل تمييز؛ لِتتضح المعجزة وتتحدد شاخصة فيه.

وقد ذكر الصحابة أن النبي ﷺ لم يُعاقبه وتركه يذهب، وذلك فيه دليل واضح على إحسان النبي الكريم وحسن عفوه خاصة عند شدة التمكن، وما موقف عفوه عن قريش في فتح مكة ببعيد بقوله: اذهبوا فأنتم الطلقاء، وهذا العفو كان له أكبر الأثر في نفوس المشركين في حبهم للإسلام فدخلوا في دين الله أفواجًا.

ففي هذا الحديث تتابعت الجمل لتفصيل المشهد واستحضار أجزائه أمام المخاطب، والغرض من ذلك " مخاطبة خيال السامع ووجدانه ، وتحريك عاطفة اليقين والإيمان لديه ، فيطلع المخاطب على هذا المشهد الحي وكأنه ماثل بين يديه يشارك في أحداثه بمشاعره وعاطفته ، لا أن يكون مجرد سامع أو مخاطب فحسب "(٨٩).

٣- بلاغة جواب النبي—صلى الله عليه وسلم- للأعرابي عن أسباب دخول الجنة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ قَالَ: تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا شَيْئًا أَبَدًا وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُ، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا"(٩٠).

كان الصحابة ﷺ حريصين كل الحرص على التقرب إلى الله بالأعمال الصالحة، وكان سبيلهم في ذلك هو التزود من النبي ﷺ عن طريق التحلي بسنته والعمل بأوامره، أو عن طريق السؤال، وفي هذا الحديث الشريف يُخبرنا أبو هريرة ﷺ أنّ أعرابيًا جاء إلى النبي ﷺ يسأله عن العمل الذي إذا عمله كان سببًا في دخوله الجنة ، فأجابه النبي ﷺ بقوله : " تعبد الله لا تشرك به شيئا" الذي هو بوابة الدخول في الإسلام، فبه يخرج الإنسان من الشرك ويكون من الموحدين، وبدأ به النبي الكريم ؛ لأنه أصل العبادات وجميعها مربوط به، فالتوحيد شرط لصحة الأعمال، ثم ثنى الرسول ﷺ بالصلاة وأمره ﷺ للأعرابي أن يُحافظ على الصلاة المكتوبة ، فهي أفضل الأعمال بعد توحيد الله ﷻ وهي أول عبادة يُحاسب عليها العبد يوم القيامة ، ثم أمره النبي الكريم بإعطاءِ الزَّكاةِ، فهي حق معلوم للفقراء عند الأغنياء، ثم أتبعه النبي الكريم بفرضية صيام شهر رمضان الذي يكون فيه الإنسان مُراقب لنفسه لا يراه إلا الله ، فمن صبر على الصيام امتثالًا لأمر الله كان جزاؤه خالصًا من الله ﷻ ، وهذه الأعمال التي دله عليها النبي ﷺ هي أركان الإسلام التي يكون المرء بها مسلمًا، فلمَّا سمِع الأعرابي هذه الأعمال أقسَم بالله الَّذي رُوحُه بيدِه ألَّا يزيد على هذه الفرائضِ بفِعلِ شيءٍ مِن النَّوافلِ، ولا يترُكَ شيئًا منها، فأخبر النبي ﷺ أصحابه بأن هذا الأعرابي إن صدق في تأدية هذه العبادات دخل الجنة ، وأخبرهم بأنه من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة —يعيش بينهم الآن- فلينظر إلى هذا الأعرابي؛ لأنّه إذا صدق في قوله هذا، فأدَى هذه الأركان فقد فاز بالجنّة، والحديث يُظهر حرص النبي ﷺ بتوجيه النصيحة الملائمة لكل سائل ، ومراعاة حال المخاطب الذي يسأل عن شيء محدد ، وتأتيه الإجابة

من أفصح العرب الذي يعلم ما ينفع هذا الأعرابي فيدله عليه ، فبدأ له بالتوحيد ثم الصلاة والزكاة وصوم رمضان.

وهذه الأعمال هي التي يدخل بها الإنسان الإسلام، وإذا فعلها موقن بها كان مسلمًا خالصًا ، ووجبت له الجنّة والبعد عن النّار، ويبدو أن جُلّ ما يعلمه الأعرابي عن الإسلام قليل جدًا؛ لذا ذكر له النبي الكريم أركان الإسلام أولًا ، وأن الحثَّ على هذه الأعمال يدل على أنها من أفضل العبادات.

وقد افتتح الأعرابي كلامه بأسلوب الأمر الذي خرج من معناه الحقيقي إلى معنى الاستعطاف وطلب النصح ، المتمثل في قوله: " دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ " .

وفيه قوله: (دُلني) دليل على حيرة الأعرابي وتلهفه للإجابة، وكأنه تائه يبحث عن طريق النجاة.

وقد ساق النبي ﷺ إجابته للأعرابي عن طريق الأسلوب الخبري التقريري المباشر ؛ فليس هُناك شك في أنّ الأعرابي غافل عن مثل هذه التعليمات خالي الذهن منها، مع بيان حرص الأعرابي الشديد في الحصول على تلك الإجابات للعمل بها والنجاة بفعلها، فانتظمت الأساليب الخبرية في سياق مفعم بالتعليم والتوجيه النبوي، وقد بدأ ﷺ هذه الأساليب التقريرية المباشرة بقوله: (**تعبد الله لا تشرك به شيئًا**)، وجاءت جملة (**تعبد الله**) إمّا بمعنى الأمر وكذا ما بعده، وإمّا خبر مبتدأ محذوف أي هو أن تعبد الله، أي العمل الذي يدخلك الجنة عبادتك الله بحذف (أن)، أو تنزيل الفعل منزلة **المصدر**.

ومن سمات جواب النبي ﷺ على الأعراب الاختصار والدخول مباشرة على جواب السؤال؛ وذلك لشعوره التام بحال المخاطب وحيرته وتلهفه إلى الجواب.

وأرى أن الأنسب للسياق أنه أسلوب خبري يراد به الأمر، أي: " اعبد الله لا تشرك به شيئًا "، وهو أبلغ؛ لأن " الخبر مستعمل في غير معناه لعلاقة مشابهة الأمر الموثوق بامتثاله **بِالشيءِ** الحاصل حتى إنه يخبر عنه "[٩١]

كما أن فيه تلميحًا إلى سرعة المبادرة إلى الفعل، فهو أبلغ من هذه الزاوية كذلك، فكأنه أمره فامتثل به فأخبر عنه؛ **إظهارا لرغبته في وقوعه**، وقد خرج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر فلا يقال هذا الإخبار مضارع والكلام في الماضي، " لأن الخبر من حيث أنه خبر لا تفاوت فيه ماضياً أو مضارعاً مع أن الأبلغية المذكورة أظهر في الماضي لدلالته على تحقق وقوعه، وأن ما هو للوقوع كالواقع "[٩٢]، لما رآه النبي ﷺ من حرص الأعرابي على العلم بتلك الأعمال التي تُدخل الجنة، عدل إلى صيغة المضارع، فكأن الأعرابي سمع الأمر وامتثل وعبدَ الله وحده، وأقرّ بالتوحيد لله الأحد، وفي هذا بيان لحرص الصحابة على تعليمات النبي وسرعة تنفيذهم لتلك الأعمال.

كما أن إجابة النبي ﷺ جاءت في ثياب الإطناب البليغ، فهي تفصيل بعد إجمال، فقد سأل الأعرابي سؤالًا مجملًا، أتاه التفصيل في إجابة النبي ﷺ، وتتجلى بلاغة التفصيل ولا سيما إذا سبق بإجمال "وكان هذا

الإجمال مقصودا لغرض الإيضاح والبيان فهو يُبرز المعنى في صورتين مختلفتين، صورة مجملة تستحث النفس المتلقية على متابعة البيان في محاولة الوصول إلى المعنى المراد وصورة مفصلة تقنع النفس المتلقية وتشبع نهمها من تقرير وإيضاح للمعنى الذي تلفع في الصورة المجملة بما يُشبه الغموض وإبراز المعنى في صورتين "[٩٣].

وفي التعبير باقتصار العبادة لله في عدم الإشراك به دليل عظيم على عِظَم وحدانية الله، وأنها رأس العبادات وما دونها من العبادات مُكمل لها لا يأخذ مكانتها، والعبادة أقصى غاية الخضوع والمراد به التوحيد لقوله (ولا تشرك به شيئاً) ، أو الأعم منه ليعم امتثال كل مأمور واجتناب كل محظور.

وقوله: (تعبد الله) معناه توحد الله، بدليل قوله بعده: (لا تشرك به شيئًا)، إذ الشرك ضد للتوحيد ، إلا أنه آثر التعبير بـ (تعبد) بدلا من (توحد) ؛ ليتناسب مع طبيعة الأعراب وميلهم إلى الجانب العملي.

ثم جاء التذييل مؤكدًا للجملة السابقة في قوله: (ولا تشرك به شيئًا)؛ لِيُلح به على التوحيد الخالص ونفي كل شائبة للشرك.

وتكمن بلاغة الترتيب بين الجمل في تقديم النبي ﷺ الأهم وما هم بالحاجة إليه أولى وهو تحقيقُ العبودية لله، وتعلُّقُ القلب به وحده ، وتخليصُه من جميع ما يشوبه، وهو أصل دعوة الرسل –عليهم السلام– قال الله تعالى: " وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ " [٩٤]، فـ "كأنّهم إنَّما يقدّمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى[٩٥] "، وإن كانا جميعاً يُهمَّانِهم ويَعْنيانِهم"[٩٦]، فيوحد المسلم ربه في جميع شؤونه ، ويخلص عبادته لله وحده فلا شريك معه ، ولا ند له[٩٧].

والضمير في (به) إما أن يعود إلى الله أو إلى العبادة، والثاني هو الأولى؛ لأنه إذا لم يشرك في العبادة فإنه لا يشرك بالله أولى" [٩٨].

وجاءت كلمة (شيئاً) نكرة، وليس التنوين فيها للإفراد أي: شخصاً فحسب[٩٩]، بل هو أعم من أن يكون شخصًا فحسب بل يتسع ليشمل كل ما خلقه الله ﷻ، فهو توحيد خالص ونفي مُطلق للشرك، وقد عضد من ذلك وقوع هذه الكلمة (شيئًا) بعد لا الناهية على تأويل من جزم الفعل (تشرك)، أو بعد النفى على تأويل من رفع الفعل، وهي في كل تفيد العموم والشمول، كما أن الكلمة ذاتها كلمة موغلة في الإبهام ، وعليه يكون المعنى لا تشرك بالله شخصًا ولا طقسًا ولا هوىً.

وسقطت الواو بين الجملتين (تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا) لكمال الاتصال[١٠٠] بينهما وتمام اللحُمة، فأن تعبد الله مخلصًا له الدين معناها ألا تشرك به شيئًا ، فجاءت الجملة المنفية هنا تأكيدًا للجملة المثبتة في هذا السياق النبوي المحكم.

وعطف جملة (وتقيم الصلاة) على سابقتها من باب الوصل بين الجمل؛ لما بينهما من التوسط بين الكمالين[١٠١] ولاتفاق الجملتين في الخبرية والفعلية، وهو من باب " عطف الخاص على العام تنبيهاً على إنافته إن عمم العبادة والمراد بها المكتوبة "[١٠٢]، ترغيبًا في آدائها وإقامتها، والحث عليها.

والضمير في قوله: (تعبد) للعموم والشمول لكل من يتأتى منه الخطاب، فهذا الحكم ليس مخصوصاً بالأعرابي، بل يعم كل مؤمن إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

وإقامتها تكون بتحقيق شروطها وأركانها وواجباتها وسننها، وقد أمر الله بالمحافظة عليها بقوله: (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ)[١٠٣]، وقال النبي ﷺ: " العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر"[١٠٤] .

وكان التقييد بالصفة (المكتوبة)؛ للدلالة على الفريضة دون غيرها من النافلة، فالصلوات المفروضة محببة إلى الله أكثر من النوافل.

وعطف جملة (وتؤتي الزكاة) أي المفروضة على سابقتها من باب الوصل بين الجمل؛ لما بينهما من مناسبة في الخبرية والفعلية، ولما بينهما من اشتمال في الأحكام.

وزكاة المال تطهره من الحرام، وهي سبب لزيادته وبركتِه وكثرةِ نفعه، وعونٌ على استعماله في الطاعات، قال سبحانه: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا)[١٠٥]، وبزكاة النفس وطهارتها يستحق مؤديها في الدنيا الأوصافَ المحمودة، وفي الآخرة الأجرَ والمثوبة، وأداؤها سبب لدخول الجنة، وفعل الزكاة من صفات عباده المؤمنين، قال تعالى: (وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ)[١٠٦] .

وعبَّر عن الزكاة (بالأداء) لا (بالإقامة) كما في الصلاة، لأنها لا تحتاج إلى خشوع وخضوع القلب، وإنما تحتاج إلى بذل مالٍ مع الإخلاص، فالإخلاص والخشوع هما الدافعان والمحفزان على تأديتها، وتقيد الزكاة بـ(المفروضة) فيه احتراز عما ليس بفريضة عن صدقة التطوع، وهو على منوال قوله تعالى: **وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ** [١٠٧]، فتقيد الحق بهذا القيد المعلوم؛ لِتخصيصه بالزكاة المقدرة من الأموال والثمار والمواشي.

وعطف جملة (وتصوم رمضان) على سابقتها؛ لما بينهما من مناسبة الوصل في الفعلية والخبرية والاشتراك في الحكم، للتوسط بين الكمالين، وفي الجنة باب لا يدخله إلا الصائمون.

وكان التعبير في الجمل السابقة بالأسلوب الخبري؛ ليكون أوضح للفكرة وأيسر في إيصالها للمخاطب على الوجه المطلوب.

وجاء التعبير بدلالة المضارع في الكلام النبوي (تعبد، تصلي، تؤتي، تصوم)؛ لتجديد الفعل في كل وقت وتكراره كثيرًا، فعبادة الله وحده تقتضي وحدانية الله في كل وقت، فكان المناسب مع هذا التعبير أن يكون بالمضارع حتى يُجدد العبد وحدانية الله، والتعبير في الصلاة بالمضارع؛ لتجدد الصلاة تلو الأخرى ، وعبر بالمضارع في تأدية الزكاة؛ لتجدد الزكاة في كل رزق ، وعبر بالمضارع في الصيام ؛ لتجدد الصيام في كل عام، فكان التعبير بالمضارع هو المناسب الذي تطلبه المعنى واختاره المقام؛ ليُحيّ به القلوب ويُجدد به الإيمان، ولا غرو في ذلك فالمتكلم هو أفصح العرب ﷺ .

كما جمع النبي الكريم بين عبادة الله المتمثلة في وحدانيته، وبين الصلاة والزكاة وصوم رمضان ، عن طريق المناسبة بالتوافق؛ لما بينهما من مراعاة النظير[١٠٨]، فجميعهم أركان الإسلام التي حددها ﷺ في حديث آخر ، وكانت المناسبة بينهم في غاية الحُسن والروعة، والجمال، فمراعاة النظير هُنا مُحسن ذاتي لا عرضي.

والخطاب في قوله: (تعبد الله الخ) للعموم ليشمل سائر الأمة مع السائل، فهو وإن كان في جواب المرء نفسه فليس المراد ظاهره، وإنما المراد أمر من يخاطبه عن ذلك وهو أبلغ[١٠٩]، والمراد بالخطاب هنا كل من تأتي منه العبادة، وذلك للإشارة إلى أن هذه العبادات والشرائع لا تختص بهؤلاء الأعراب ولا تقتصر عليهم، بل وتتسع لتشمل كل مخاطب وسامع مما تتأتى منه تلك العبادات.

ومن معالم بيان النبي ﷺ في أن قيّد الصلاة بالمكتوبة، والزكاة بالمفروضة، في حين أنه أطلق الصيام، وذلك لأنه لا التباس في صيام رمضان بغيره من الشهور، ولا في حج البيت بغيره من البيوت، وهذا يدل على أنّ بيان النبي بيان محكم، وأن كلماته وألفاظه إنما ينطق بها بمقدار، وهذا من معالم بيان النبي ﷺ لا سيما في جوابه للسائلين.

وبدأ النبي الكريم يوجه الخطاب لأصحابه بالأسلوب الخبري المباشر تعقيبًا على حديثه مع الأعرابي بقوله: (من سره أن ينظر) ففي حديثه لأصحابه حثٌّ لهم على فعل مثله، وحول النبي ﷺ أسلوبه عبر هذا الالتفات[١١٠] البديع "من أجل تحريك النفس وحضها على أمر مهم حتى تأخذه بمأخذ الجد فلا تحيد عنه ولا تتردد فيه "[١١١].

ومن أجل تسابق الصحابة في فعل ما أمر به النبي ﷺ الأعرابي أتى لهم بمزيد من التشويق بقوله: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا)، فالتعبير بالجملة الشرطية أضفى عليها مزيدًا من التشويق، و"التشويق إنما يتكامل بتطويل المسند إليه ؛ ولذا قيل حتى الكلام تطويله وإنما يتمكن الخبر حين سماعه بعد التشويق ؛ لأن حصول الشيء المترقب بعض الشوق ألذ وأوقع"[١١٢]، فالصحابة طالما تعلقت قلوبهم بالجنة فعندما يخبرهم النبي بأن من أراد منهم رؤية رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا الرجل فتتشوق نفوسهم للتطلع إليه.

وفي اختياره للاسم الموصول (مَن) ؛ لِيُعمم الرغبة وينشر اللهفة بين أصحابه للتطلع إلى ذلك الرجل.

وفي تعريف المسند إليه باسم الإشارة في قوله: (هذا) (لتحديد الرجل وتميزه أكمل تمييز)، فهو هذا الرجل بعينه.

وفي تحديد النبي ﷺ لهذا الأعرابي وأنه من أهل الجنة تقرير بالعمل بهذه الطاعات السابقة لجميع المسلمين، فمن أراد أن يلحق بهذا الأعرابي فليفعل هذه الطاعات.

ومن الملاحظ في هذا البيان النبوي اعتماد النبي صلى الله عليه وسلم على أسلوب الحقيقة واتكائه عليها في بيان أغراضه وهي: بليغة لا تقل في مقامها هذا وبين سياقها بيانًا ورونقًا عن المجاز ، وهذا يأخذ

بأيدينا ونواصينا إلى أن الحقيقة كالمجاز لها دور كبير وأثر فاعل في تشكيل الصورة الفنية، يقول ابن الأثير في معرض حديثه عن الحقيقة والمجاز: "وهذا الفصل مهم كبير من مهمات علم البيان، لا بل هو علم البيان بأجمعه"(١١٣)، ومن هنا يرى البحث أن تورك البلاغين على المجاز دون الحقيقة بالبحث والدراسة وإبراز القيم الفنية يُعد تقصيرًا في حق شق البلاغة الآخر وهو الحقيقة الذي هو في حاجة إلى مزيد من العناية بالبحث.

ففي هذا الحديث النبوي الشريف يتجلى فيه حرص الأعرابي على فهم الطاعات وطلب الخير وعلو همته في الطلب؛ فلم يسأل النبي ﷺ شيئاً من الدنيا وإنما سأل عما ينفعه في آخرته.

وفي إقرار النبي ﷺ للأعرابي بأن هذه الأعمال ستدخله الجنة دل على أنّ ما عدا الفرائض سنن ومستحبات إن فعلها المسلم حصل له خير كثير من تكميل الفرائض ، وجبر النقص الحاصل فيها، وزيادة الإيمان، وأنّ فِعل الفرائض من أحب الطاعات إلى الله، ففي الحديث القدسي: "وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه"(١١٤)، فالصلوات المفروضة محببة إلى الله أكثر من النوافل، وكذا صيام رمضان على صيام الاثنين والخميس، والزكاة على الصدقة.

وفي هذا الحديث النبوي الشريف لم يذكر النبي ﷺ الحج، لاحتمال سببين ، ذكرهما ابن حجر –رحمه الله– أولها: أن النبي ﷺ والأعرابي كانا في الحج، فلم يذكر النبي ﷺ الحج؛ لدلالة الحال عليه، وثانيها: أن الحج فُرِض متأخرًا في السنة التاسعة من الهجرة، ولقاء النبي ﷺ مع الإعرابي كان قبل فرض الحج.

٤– بلاغة جواب النبي ﷺ للأعرابي في السؤال عن الهجرة.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن أعرابيا سأل رسول الله ﷺ عن الهجرة، فقال: " وَيْحَكَ، إِنَّ الْهِجْرَةَ شَأْنُهَا شَدِيدٌ، فَهَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: " هَلْ تُؤَدِّي صَدَقَتَهَا؟ " قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: " هَلْ تَمْنَحُ مِنْهَا؟ " قَالَ: نَعَمْ . قَالَ: " هَلْ تَحْلُبُهَا يَوْمَ وِرْدِهَا؟ " قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: " فَاعْمَلْ مِنْ وَرَاءِ الْبِحَارِ، فَإِنَّ اللهَ لَنْ يَتِرَكَ مِنْ عَمَلِكَ شَيْئًا "(١١٥).

جاء هذا الحديث الشريف في سياق إعلاء شأن الهجرة وتوضيح شأن زكاة الإبل وصدقتها، فالحديث الشريف يُبين حرص الأعرابي على الاستفهام عن شأن الهجرة ومكانتها من الإسلام ، وتظهر رحمة النبي ﷺ وتتجلى رأفته من خلال هذا الحوار الرفيق مع هذا الأعرابي الذي سأل عن شيء عظيم لا يقدر، فهو أشبه بمن يُريد أن يُوقع نفسه في هلكة وهو لا يستحقها، ، فهو يسأل عن شيء مجهول بالنسبة له، ومن حُسن تعليم النبي وبلاغته بأنه يذكر له تعليل تعظيم شأن الهجرة وتفخيمها، واختار النبي ﷺ للأعرابي المناسب له غير باب الهجرة والذي قد لا يقدر عليه، فسأله عن إبل يُخرج زكاتها، ويُطعم منها بصدقة اللبن، وكان توضيح النبي ﷺ للأعرابي في استفساره منه بمثابة التقرير على هذه الأجوبة، وأن من يفعل تلك الخيرات لن ينقص الله من عمله شيئًا.

وفي إيثار النبي ﷺ التعبير بكلمة (ويحك) في جواب الأعرابي عن سؤاله عن الهجرة دون (ويلك) لهو من فن القول وحُسن انتقاء الكلمة المفردة ودقة اختيارها، فـ (ويحك) كلمة رحمة وتوجع لمن وقع في هلكة لا يستحقها، وهي كلمة تقال لمن وقع في شيء يشفق عليه منه وليس مذموماً، بخلاف (ويلك) فإنها تقال لإنسان وقع في محذور، كما جاء على لسان موسى عليه السلام للمكذبين في قوله تعالى : **(قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ)**[١١٦] ، قال العظيم آبادي: "ويح لمن يُنكر عليه فعله مع ترفق وترحم في حال الشفقة، وويل لمن يُنكر عليه مع غضب "[١١٧] فإيثار النبي لهذه الكلمة الشفيقة في محاورة هذا الأعرابي على بداوته وجفاوته يدلك على مدى تلطف النبي وترفقه بهؤلاء الأعراب ، وأنه كان ينتقي لهم من الألفاظ ما يُرقق بداوتهم ويزيل الجفوة التي كانت كثيرا ما تلازمهم بحكم بيئتهم وطبيعتها الشديدة القاسية.

ولا غرو في ذلك فقد كان ﷺ " يَخْتَارُ لِأُمَّتِهِ أَحْسَنَ الْأَلْفَاظِ وَأَجْمَلَهَا، وَأَلْطَفَهَا، وَأَبْعَدَهَا مِنْ أَلْفَاظِ أَهْلِ الْجَفَاءِ وَالْغِلْظَةِ "[١١٨].

وُيزيد النبي ﷺ المعنى تأكيدًا وعناية من خلال تأكيده الكلام بـ (إن) واسمية الجملة بقوله: (إن الهجرة شأنها عظيم)، وهي جملة خبرية الغرض منها تنزيل السائل عن شأن الهجرة منزلة المتردد؛ ليؤكد له على عِظم شأن الهجرة، وأنها ليست كما يظن مجرد انتقال من مكان إلى مكان، إنما يعقبها تبعات شداد، فكان التأكيد مناسب لذلك، ومطابقًا لحال المخاطب ومقامه، وهذا يدل على استيعاب النبي ﷺ لأساليب اللغة والبيان ونفوس المخاطبين.

وفي إيثار التعبير بقوله: (شأنها) مع إمكان الاستغناء عنها ، كأن يقول: إن الهجرة شديدة، فيكون التعبير بدونها موجزاً مختصرًا ظاهرًا ، ولكنه ذكرها لزيادة التأكيد على هذا المعنى وبيان أن للهجرة مكانة كبيرة ومقام عظيم ينبغي أن يُنتبه له ويُلتفت إليه، وكان التعبير بها عن طريق الإطناب بالتتميم للمعنى في ذكر هذه الكلمة (شأنها)، فكانت هذه اللطيفة للتأكيد على عظم مكانة الهجرة.

وهنا قاعدة بلاغية تنبه لها كثير من العلماء وهي: أن الإطناب في موضعه كالإيجاز في موضعه، ولا شك أن حذف هذه الكلمة أقرب إلى الإيجاز واختصار الكلام ظاهرًا إلا أن في حذفها إخلالًا بالمعنى ونقصًا عن الغاية التي يُرسي إليها النبي ﷺ فكانت في موضعها موجزة منيرة.

وقد كان للبلاغيين القدامى ممن تناولوا هذا الموضوع بالدراسة والبحث إشارات جليلة فى هذا الشأن تدل على إدراكهم لطبيعة الإيجاز والإطناب، وأن المقام هو الذى يستدعى ما يناسب كلاً منهما، فيرى الجاحظ أن ذكر الكلام المبسوط فى موضعه والموجز فى موضعه من الأركان التى يقوم عليها فن الخطابة، ومما مدحوا به الإيجاز والكلام الذى هو كالوحى والإشارة قول أبى داؤود جرير الإيادي:

يرمون بالخطب الطوال وتارة ... وحى الملاحظ خيفة الرقباء[١١٩].

ويقرر أبو هلال العسكرى هذه الحقيقة فيقول بعدما ذكر المفاضلة بين أصحاب الإيجاز وبين أصحاب الإطناب: " والقول القصد: أن الإيجاز فى موضعه كالحاجة إلى الإطناب فى مكانه، فمن أزال التدبر فى ذلك عن جهته واستعمل الإطناب فى موضع الإيجاز، واستعمل الإيجاز فى موضع الإطناب أخطأ "(١٢٠) فمدح كما ترى الإطالة والإطناب في موضعه والحذف والإيجاز فى موضعه "(١٢١).

وإيثار هذه الكلمة (شديد) بجرسها ووقعها؛ ليتناسب تمامًا مع طبيعة الهجرة وطبيعة الأعرابي، فهو يعرف معنى الشدة من بيئته ورعيه ومكابدته وراء الماء والكلأ ، فتلقي في نفسه ظلال الهجرة وتبعاتها وما سيكابده فيها من مشقة ووعورة محسوسة ونفسية قد لا يتحملها ولا يقدر عليها.

ثم جاء هذا الأسلوب الإنشائي (بهل) في قوله: فهل لك من إبل؟ بهذا النسق العجيب، وجاء الاستفهام هنا حقيقيا لطلب التصديق بحصول النسبة أو عدم حصولها؛ لأن النبي ﷺ يريد جوابًا صريحًا واضحًا يُرتب عليه مطلوبه بعد ذلك، ويرشده من خلاله إلى تلمس طريق آخر موازٍ لطريق الهجرة في نيل الأجر وحصول المقصود، ومن ثمّ كان جواب الأعرابي على (هل) جوابًا واضحًا صريحًا بقوله: نعم، والذي رتب عليه النبي ﷺ جوابه بعد ذلك.

ودخول (من) الزائدة في قوله (من إبل) جاءت لتأكيد المستفهم عنه والاكتفاء منه بأدنى عدد، وكأنه قال : هل عندك من إبل أي إبل، وهو بذلك يُريد أن يفتح له بابًا ينفذ منه إلى الخير ، وهو من حُسن بيان النبي –صلى الله عليه وسلم– وقدرته على توظيف اللسان.

ثم جاء الجواب من الأعرابي واضحًا صريحًا في ثبوت النسبة بـ(نعم) وأن عنده إبلًا.

ويأتي شبه كمال الاتصال البديع في جواب النبي –صلى الله عليه وسلم– بعقد المشاركة وبناء حوار فعال بينه وبين الأعرابي، إذ وكأن سائل سأل لما سمع السؤال وجواب الأعرابي فقال: فكيف كان جواب الرسول ﷺ وكيف رد على الأعرابي؟ فكان الجواب قال: هَلْ تُؤَدِّي صَدَقَتَهَا؟ وهذا ما أشار إليه الإمام عبد القاهر من الفصل لشبه كمال الاتصال بعد القول " واعلم أنَّ الذى تراهُ في التنزيلِ من لفظِ " قال " مَفصولاً غيرَ معطوف، هذا هو التقديرُ فيه... جاء على ما يقعُ في أنفسِ المخلوقين منَ السُّؤال، فلما كان في العُرفِ والعادةِ فيما بينَ المخلوقينَ إذا قيل لهم: " دخلَ قوم على فلان فقالوا كذا"، أخرجَ الكلامَ ذلك المخْرجَ ، لأنَ الناسَ خوطبوا بما يتعارفونه، وسلك باللفظ معهم المسْلكُ الذي يَسْلُكُونه"(١٢٢).

وقد خُصصت الزكاة بالذكر هُنا دون غيرها من الفرائض لما بينهما من التناسب، فالنبي ﷺ نظر إلى الأعرابي من حيث كون الزكاة من أكبر الأشياء وأثقلها عليه، فأراد أن يقول له: "إذا أديت الزكاة، التى هى أكبر شيء على الأعراب، ثم منحت منها وجبتها يوم ردها من ينتظرها من المساكين، فقد أديت المعروف، من حقوقها فرضًا وفضلاً، فاعمل من وراء البحار، فهو أقل لفتنتك "(١٢٣).

وكان جواب الأعرابي واضحًا في قوله: نعم، حين سُئل عن تأدية صدقاتها، أي: نعم أؤدي صدقتها، والمقصود بالصدقة هُنا هو الزكاة التي فرضها الله، وكأن من يعمل ويُنتج ويؤدي زكاة هذا العمل فله أجر عظيم.

ثم عبر بأسلوب الفصل بشبه كمال الاتصال مرة أخرى وكأن سائلًا سأل وماذا كان رد النبي ﷺ على الأعرابي؟ فكان في قوله: قَالَ: " هَلْ تَمْنَحُ مِنْهَا؟ أي: هل تُخرج من لبنها صدقة ، فكان جواب الأعرابي واضحًا صريحًا بنعم، ثم أكمل التعبير من خلال أسلوب الفصل بين الجمل عن طريق شبه كمال الاتصال أيضًا ، فحين سأل النبي ﷺ الأعرابي عمّا يُخرجه من صدقة من لبن إبله أثار الكلام سؤالًا وهو وماذا قال النبي بعد ذلك؟ فكان قوله: قَالَ: " هَلْ تَحْلِبُهَا يَوْمَ وِرْدِهَا؟ أي: هل أنت أيها الأعرابي تقوم بحلبها يوم ورودها الماء، فكان جواب الأعرابي بنعم أفعل ذلك، وهذا الرد من الأعرابي ناتج عن صدق كامل جعل النبي ﷺ ينتقل معه من مرحلة إلى أُخرى.

وهُنا يظهر فضل أسلوب الفصل بشبه كمال الاتصال فهو يُضفي على الأسلوب حُسنًا وقوة تأثير، مع ما فيه من جزالة وفخامة، فقد كان له دور في ربط الحوار بين النبي ﷺ والأعرابي ومكنه من الانتقال مع الأعرابي من معنى إلى معنى حتى أتم له الغرض الذي يُريد إيصاله إليه في ايجاز تام.

وقد بُنى الحديث على طريق الحوار عن طريق الاستفهام بـ(هل) دون غيرها كالهمزة مثلًا؛ لأن النبي ﷺ أراد من الأعرابي جوابًا مُحددًا بنعم أو لا؛ حتى يقرر من خلال الأسلوب الحكيم أن هذا ما يُناسب الأعرابي وهو رعي الإبل وعمل الخير من خلالها فهذا العمل هو المناسب له وليس الهجرة؛ فالأعرابي لا يقوى على شأنها.

وفي تعبير النبي ﷺ بقوله: (هَلْ تَحْلِبُهَا يَوْمَ وِرْدِهَا؟) بيان لرحمة النبي ﷺ بالحيوان وسبقه المنظمات الحقوقية العالمية في ذلك في اختيار الحلب يوم ورود الإبل؛ حتى لا يكون ذلك اجهادًا لها وتحميلًا لها فوق طاقتها .

واختص النبي ﷺ بحلب الإبل يوم ورودها أي: " يَوْم نوبَة شربهَا، وَذَلِكَ لِأَن الْحَلب يَوْمئِذٍ أوفق للناقة وأرفق للمحتاجين "[١٢٤]، وذلك " أن الضعفاء والمحاويج من الأعراب يكونون على المياه، فإذا حلبت يوم الورد كثر الطالب والسائل، فواساهم الحالب من ذلك اللبن، ومن لا يريد ذلك لا يحلبها يوم الورد حتى يصرفها إلى موضعها من مرعاها، حيث لا يكون أولئك "[١٢٥].

وأكمل التعبير من خلال شبه كمال الاتصال في قوله –صلى الله عليه وسلم– : " فَاعْمَلْ مِنْ وَرَاءِ الْبِحَارِ، فَإِنَّ اللهَ لَنْ يَتِرَكَ مِنْ عَمَلِكَ شَيْئًا"، فهذا الكلام من النبي بمثابة الجواب لسؤال فُهم من فحوى الكلام وهو : ماذا قال النبي ﷺ للأعرابي بعد ذلك، فكان الجواب من النبي للأعرابي إذا كُنت تعمل هذا فاعمل من أي مكان أنت فيه فإن الله لن ينقصك شيئًا، ولن ينقص من أجرك شيئًا.

وقوله: " فاعمل من رواء البحار". كناية بديعة عن موصوف أي : من أي مكان فهى عبارة يراد بها: في أي محل كنت حيث قد قمت بما أمر الله به من حقوق تقدر عليها بما أعطيت من الإبل، وخص ﷺ الإبل وإخراج زكاتها؛ "لأنَّه أعز شيء على أهل البادية "(١٢٦).

والمقصود بـ(البحار) هنا يُراد بها: القُرى. يقول: إذا كان هذا صنيعك، فألزم أرضك، وإن كانت من وراء البحار، فإنك لا تحرم أجر الهجرة، وذلك أنه قد جمع بين أقطار الخير: الصدقة الواجبة، والمنيحة التي هي بر وصلة، وسقي اللبن يوم الورد، وهو معونة ومعروف "(١٢٧)، وقد جمع بينهما ﷺ عن طريق مراعاة النظير، كونهما أمور متناسبة من صدقة واجبة، ومنيحة بر وصلة، وسقي يوم الورد كمعونة، وكلها أمور متناسبة من وجوه الخير.

وقوله: (لن يَتِرَكَ)؛ أي: ينقصك. ومعنى ذلك: أنَّه إذا قام بما يتعيّن عليه من الحقوق، وبما يفعله من الخير؛ فإن الله تعالى يثيبه على ذلك، ولا يضيع شيئًا من عمله أينما كان من الأرض، ولا يبْعُدَ في أن يُحصِّل الله له ثوابَ مهاجرٍ بِحُسْنِ نِيّته، وفعْلِهِ الخير"(١٢٨)، وهذا التعبير كناية تحمل في طياتها "مبالغة في إعلامه بأن عمله لا يضيع في أي موضع كان "(١٢٩).

ومن خصائص النبي ﷺ في مخاطبة الأعراب أن خاطبهم بألفاظ مناسبة لبيئتهم وطبيعتهم كقوله: (تمنح من إبلك، يَترك، فَاعْمَلْ مِنْ وَرَاءِ الْبِحَارِ)، وهذا من بلاغة النبي الكريم.

وفي إيثار التعبير من النبي للفظة (يترك) دون غيرها من الألفاظ القريبة في المعنى كـ(ينقص) لتكون أنسب وأليق بحال الأعرابي وذلك أن (وتر) معناها فقد الشيء بالكلية بخلاف (نقص) فإنها وإن كانت تتحمل معنى النقصان أيضًا إلا أنها تُبقي للمرأ شيئًا مما كان معه ولو كان قليلًا، أما (وتر) فلا تذر شيئًا بعدها(١٣٠)، وهذا ما قصد إليه النبي ﷺ وهو أن الله –تعالى– لا يُضيع من عمله شيئًا البتة.

وهذا من بلاغة الرسول ﷺ وقدرته على قراءة الآخر واستيعاب بيئات العرب بلاغة وجوابًا لاسيما وهي تحتمل من المعاني في سياق الحديث ما لا يتحمله غيره .

وفي إيثار التعبير من النبي ﷺ في التعبير بقوله: (يترك) مأخوذ من الوحي الكريم في قوله تعالى **فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ** (١٣١).

٥– بلاغة جواب النبي ﷺ في مقام الرفق وتقويم الأخطاء عند الأعراب.

عن أبي هُرَيْرَةَ، قالَ: قَامَ أعْرَابِيٌّ فَبَالَ في المَسْجِدِ، فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ، فَقالَ لهُمُ النبيُّ ﷺ: "دَعُوهُ وهَرِيقُوا علَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِن مَاءٍ، أوْ ذَنُوبًا مِن مَاءٍ، فإنَّما بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، ولَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ "(١٣٢).

في هذا الحديث النبوي الشريف تتجلى تعاليم الإسلام السمحة على يد النبيﷺ في صدقه عما بلغ عن رب العزة، فما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى، فظهر النبي ﷺ مُعلمًا حكيمًا، يُعلِم أصحابه

التيسير وحُسن الدعوة إلى الله، فليس هُناك شك في أنّ كُل موقف حصل للصحابة مع رسول الله ﷺ كان القصد منه تعليم الصحابة أمور دينهم، وتعليمهم كيفية الدعوة إلى الله، فما أجمل الإسلام رسالة للهداية والإصلاح، ودين السماحة واليسر! وما أسمى تعاليمه الحكيمة التي تدعو إلى الرفق واللين في النصح والإرشاد، وإلى معالجة المشكلات الاجتماعية بطريق الرأفة لا الغلظة، وبأسلوب اللين لا الشدة! ولا عجب فهذا تهذيب أدّب الله به رسوله الكريم وخاطبه بقوله :"ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك "(١٣٣)، وعلمه الرسول ﷺ لأصحابه حين قال لهم " إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين ". هذا هو أعرابي يدخل مسجد الرسول وهو لا يعرف أمور الدين، ولا يدري حرمة المساجد التي أمر الله أن تعظم وتطهر ، فيظن أن المسجد كبقية الأماكن، ليس هناك ما يمنع من التبول فيه أو قضاء الحاجة ، وليس له من عذر إلا أنه جاهل، ويرى أصحاب الرسول هذا المنظر المؤذي المقزز، منظر الأعرابي يتبول في المسجد، فيسرعون نحوه يريدون نهره وتأديبه، لأنه أساء إلى حرمة بيت الله، ويأمرهم الرسول الرحيم بالكف عنه وعدم إيذائه أو ضربه، لأن الجاهل ينبغي أن يُعلّم لا أن يُضرب، فإن الضرب ينفر ولا يؤدب، والرسول الكريم يقول "بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا" فيأمرهم الرسول بعدم التعرض له بمسبة أو أذى، ويكلفهم أن يريقوا على بوله دلوا من الماء تطهيرا للمكان من النجاسة ، ثم يدعو الأعرابي فيعلمه برفق ولين ، ويرشده إلى أن هذا بيت من بيوت الله عز وجل، لا يليق بالمسلم أن يحدث فيه أذى ، أو يعرضه لنجاسة ، ويتلطف معه عليه الصلاة والسلام حتى يشعر الأعرابي من نفسه بخطئه ويندم على عمله ، ويطلب من الرسول الكريم العفو والسماح ، وهنا يُقبل الرسول على أصحابه مرشدًا لهم إلى طريق الرفق في الدعوة، واللطف في المعاملة ، قائلا لهم " إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين ".

يقول أبو هريرة أنّ أعرابيًا قام فبال في المسجد، والكلام هنا على الحقيقة، فقد بال الأعرابي في المسجد بالفعل، فالتعبير بقوله: (قام أعرابي) فيه دلالة على أن الأعرابي كان قد أدى الصلاة في المسجد قبل البول، فلما ألحَت عليه الحاجة، اضطر أن يبول في المسجد، والضرورات تبيح المحظورات، فلم يقصد ذلك ابتداء(١٣٤).

وقوله: بال أعرابي: جملة خبرية من النوع الابتدائي غرضها إفادة المخاطب الحكم ويسمى بفائدة الخبر .

وعرَّف (المسجد) بالألف واللام؛ لتعين المسجد وتحديده تحديدًا صحيحًا فهو مسجد رسول الله ﷺ، وفيه دلالة على أن هذا الحكم خاص بالمسجد المعد لذلك بالبناء، ولا يطلق على الخلاء بدون بناء لتعرضه للشمس والماء والهواء؛ لأن المسجد له حرمته وتعظيمه.

والتعبير بقوله: (في المسجد): مجاز مرسل علاقته الكلية فقد أطلق الكل وهو " المسجد " وأراد به الجزء وهو " الناحية " لأنه القرينة تدل على ذلك لاستحالة أن يبول الشخص في جميع المسجد، وغرضه بيان

عموم فساد الأعرابي في المسجد وأن أذاه قد طال وعم من بالمسجد جميعًا، فكأنما بال بالمسجد كله وآذى جميع من فيه.

وكان ردة فعل الصحابة عليه قوية عنيفة (فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ) ثاروا عليه بالتقريع والتوبيخ ؛ فهذا الموقف لم يحدث قبل ذلك، وربما اتخذه الصحابة استهزاءً بالمسجد وهو بيت الله، لذلك كانت ردة فعلهم قوية يظهر منها حرصهم على نظافة المسجد والدفاع عن كُل شيء يَمس الإسلام بسوء، كل ذلك على الحقيقة، فثورتهم عليه كانت حقيقية صادقة نابعة من حرصهم على طهارة المسجد والمحافظة عليه.

وفي التعبير بهذه الصيغة البليغة (تناوله) دليل على أن الناس قد قاموا عليه وأخذوه كما يأخذون الماء.

وجاء التعبير بالفاء في قوله: "فتناوله الناس" التي وضعت للترتيب والتعقيب؛ دلالة على المسارعة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما في الحديث الشريف: "من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده.."(١٣٥).

وهنا يأتي دور المعلم القدوة الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ مُعلمًا للصحابة أمور دينهم، في نهيه لهم بأن يدعوه يُكمل بولته؛ حتى لا يُصيبه ضرر.

ويظهر حرص النبي ﷺ في خوفه على الأعرابي من حبسه بولته؛ لخوف الأعرابي من الصحابة وزجرهم إياه في التعبير بـ(الفاء) في قوله: (فقال لهم رسول الله)، الذي يدل على سرعة رد النبي عن الأعرابي؛ لخوفه عليه، فهو الحليم الكريم الحكيم، الذي يعلم أضرار قطع الأعرابي لبولته، فيأمرهم النبي الرحيم بأن (دعوه)، فعبر بالأسلوب الإنشائي، طريقه الأمر ، وكان الأمر من النبي ﷺ للصحابة الكرام على حقيقته بأن يتركوه يُكمل بولته؛ حتى لا يُصيبه ضرر ، لأن تخويفه وإرهابه وقطع بولته عليه، يفوق فساده على بولته في المسجد ، وهو منافٍ ليسر الشريعة وسماحتها، لا سيما وهو أعرابي جاهل بأحكام الشريعة قد يكون قد اعتاد ذلك في قومه.

والأمر هنا على حقيقته للإلزام، وغرضه تأمين الأعرابي وإزالة الأذى عنه والتخويف، ومن جهة أخرى يقول لهم النبي الكريم: لا يجدر بكم أن تنهوه عن هذا الفعل بهذه الطريقة، فجمع في أمره (دعوه) بين النهي عن الزجر والتعليم.

ثم عبر بجملة (وهريقوا عليه سجْلا من ماء)؛ ليؤكد على سماحة الإسلام في الدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، فكان التعبير من خلال الأسلوب الإنشائي، طريقه الأمر (وهريقوا)، على سبيل الحقيقة، فأمرهم بأن يصبوا على بولته الماء، ويظهر من خلال الأسلوب الإنشائي النفس الملتاعة من فعل الصحابة بالزجر والنهي والطريقة التي تعاملوا بها مع الأعرابي تمثلت في أسلوب الأمر من النبي ﷺ لهم (دعوه، وهريقوا)، فالأمر بصب الماء على البول كان للصحابة لا للأعرابي؛ ليُعلمهم النبي ﷺ أنَّ هذه الطريقة لا تصلح للتعليم ونشر تعاليم الإسلام السمحة.

فصب الماء على بوله "يكفي لطهارة المكان وترضية الأعرابي، وفيه دلالة أيضًا على أن الأرض التي لا تصل إليها الشمس لا تطهر إلا بالماء؛ لأن صب الماء عليها يبعد النجاسة عن سطحها، وفي قوله: "على بوله" دلالة على صب الماء من أعلى دون أن يقلب التراب ولا يأتي على كل جوانبه من أسفل"(١٣٦)، فالعبرة في الطهارة بسطح الأرض لا بباطنها.

وجاء التعبير بمقدار صب الماء بقوله: " سَجْلًا مِن مَاءٍ، أَوْ ذَنُوبًا مِن مَاءٍ"، وهو المقدار الذي به تحصل طهارة المكان، و"السجل الدلو الضخمة المملوءة مذكر ولا يقال لها فارغة سجل ولا ذَنوبٌ ولكن دلو"(١٣٧)، عن طريق التعبير بالترادف بين قوله: "سجلاً من ماء أو ذنوباً من ماء" ، ومما يؤكد ذلك الترادف ما ذكره البخاري في حديث آخر وهو "دَعُوهُ وَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ أَوْ سَجْلا مِنْ مَاءٍ "(١٣٨)، بتقديم الذنوب على السجل في هذا الحديث مما يدل على ذلك الترادف.

وفي مسند الإمام أحمد " أهريقوا عليه دلواً من ماء أو سجلاً من ماء"(١٣٩)، فبين السجل والدلو والذنوب ترادف.

وقال ابن حجر بعد أن ذكر أقوال العلماء في معنى السجل والذنوب " فعلى الترادف أو للشك من الراوي، وإلا فهي للتخيير، والأول أظهر، فإن رواية أنس لم تختلف في أنها ذنوب، وقال في الحديث من ماء مع أن الذنوب من شأنها ذلك "(١٤٠).

ومهما يكن بين الكلمتين من ترادف أو تقارب فإن ثمّة فروقًا دقيقة وخصوصية تظل لكل لفظة منها على حده تشع من خلالها وعبر سياقاتها المختلفة والمتنوعة، وتلك عبقرية اللغة وفاعليتها عبر كل لفظة منها حين يتم اختيارها بعناية وبراعة.

والتعبير بكلمة (هريقوا) وإن كانت بمعنى (أريقوا) غير أن فيها نوعًا من الغرابة يجعلها أنسب للغة الأعرابي وقاموسه وكذلك فعلته في المسجد بقعة الله المباركة في الأرض.

ثم جاء دور التعليل من النبي الرحيم المعلم للصحابة لماذا أمرهم بترك الأعرابي وعدم زجره، وإلقاء الماء على بوله بقوله: (فإنَّما بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ)؛ لبيان يُسر الإسلام وسماحته، وقد أكد النبي ﷺ للصحابة كونهم بُعثوا مُيسرين عن طريق التوكيد بـ(إن)، واستلزم التعبير التوكيد من النبي؛ لما رآه من ردة فعلهم تجاه الأعرابي.

وقد خصّ النبي ﷺ الصحابة باليسر والسماحة دون غيرهم عن طريق التعبير بأسلوب القصر في قوله: (إنَّما بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ)، وطريق القصر (إنما)، فجعل جميع أفعالهم مقصورة على اليسر والسماحة، وخصهم باليسر والسماحة دون غيرهم، والغرض تأكيد قصر أفعالهم على اليسر دون غيره.

وجاء التعبير بالمجاز العقلي في قوله: (فإنما بعثتم)، فأسند البعث إليهم في حين أنه ﷺ هو المبعوث، لكنهم لما كانوا في مقام التبليغ عنه في حضوره وغيبته أطلق عليهم ذلك إذ هم مبعوثون من قبله بذلك أي

مأمورون ، وهذا التعبير قُصد به؛ بيان مكانة الصحابة في الإسلام، وأنّ لهم دور عظيم في نقل الإسلام عن النبي ﷺ لأمته من بعده ، فرضي الله عنهم أجمعين.

وأعقب أسلوب تأكيد التيسير لهم بأسلوب آخر وهو نفي التعسير عنهم بقوله: (ولم تبعثوا معسرين)، فأكد لهم بأسلوب النفي بعد الإثبات كون بعثهم من أجل التيسير والتأكيد على قيم الإسلام السمحة التي يراها النّاس من خلالهم، فنفى ﷺ التعسير عنهم، وأكد على كونهم مبعوثين عن طريق التعبير بالمجاز العقلي في إسناد البعث إليهم دونه ﷺ؛ ليؤكد لهم أنهم في مقام التبليغ عنه، وأنهم في مكانته من حيث التبليغ.

وقد وجه الله – تعالى– الخطاب إلى نبيه ﷺ في كثير من كتابه الكريم أنّ الدعوة إليه تكون بالحكمة واليُسر، كما في قوله تعالى: **ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ** (١٤١)، وقوله تعالى: **فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ** (١٤٢)، وقوله تعالى: **وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ** (١٤٣)، فأراد النبي ﷺ أن يُقرر لأصحابه سنة التيسير والسماحة من خلال هذا الموقف.

وجاء التعبير بالمقابلة بين قوله: (بعثتم ميسرين)، وبين جملة (ولم تبعثوا معسرين)، والمقابلة هُنا تبين ما من أجله قد كُلف الصحابة بمنهج النبي ﷺ وهو التيسير والدعوة إلى الله –تعالى– بالحكمة والموعظة الحسنة، ولم يرض لهم أن يكونوا معسرين مُشددين على أنفسهم وعلى الناس.

وقد نهى النبي ﷺ في كثير من أحاديثه عن المغالاة في ذلك ومنها قوله: «هلك المتنطعون» (١٤٤) قالها ثلاثا "(١٤٥) .

وزين الرسول الكريم أسلوبه بالجناس بين لفظتي (ميسرين، ومعسرين)، ويطلق عليه (الجناس الناقص) فقد اتحدت الكلمتان في الأحرف عدا الحرف الثاني فكان في الكلمة الأولى ياءً وفي الكلمة الثانية عينًا، ولكن معنيهما مختلف، وهذا ما زاد التعبير جمالًا، وصدق فيهما ما قاله الإمام عبد القاهر عن فضل هذا الجناس فكان "وقع معنيّهما من العقل موقعًا حميدًا، ولم يكن مَرْمَى الجامع بينهما مَرْمًى بعيدًا"(١٤٦)، فجمع بينهما النبي ﷺ من باب المخاتلة الفكرية، ليوهمنا بإعادة اللفظة، ولكنه أتى بمعنى آخر للكلمة نفسها، مما حقق الفائدة العائدة وزيادة، فـ"أعاد عليك اللفظة , كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها , ويوهمك كأنه لم يزدك , وقد أحسن الزيادة ووفاها "(١٤٧).

إلى جانب ما بين اللفظتين (ميسرين، ومعسرين) من سجع متماثل، فقد اتفقا في الوزن، والنهاية في الكلمتين متماثلة، ويؤكد الطباق بين اللفظتين شتان الفرق بين التيسير والتعسير، والتأكيد على اختيار النبي لهم طريق التيسير.

فهذا الحديث من جوامع كلم النبي ﷺ ظهر من خلاله حرصه في تبليغ ما أُمر به عن ربه في يسر وسماحة، حثّ فيها على تطهير المساجد، والرفق بالجاهل بالأمر وإبداء النصح له في أسلوب سهل ميسر؛ حتى لا ينفر من الدين، فمن تولى أمر المسلمين لابد أن يكون رفيقاً فيمن يدعوهم، وهكذا كان النبي ﷺ مع الأعرابي، وكذلك حثّ النبي ﷺ أصحابه على التحلي باللين والرفق، كما أوصى أبي موسى ومعاذ- رضي الله عنهما – حينما بعثهما إلى اليمن فقال لهما: " يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا "(١٤٨)، وحثّ الرسول ﷺ على الرفق فقال: "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه" (١٤٩).

ومما يلاحظه الباحث في هذا الحديث رُغم بداوة الأعرابي وجفوته وغرابة ما فعله في مسجد النبي وشناعته أنّ النبي ﷺ لم يُغلظ له القول، بل اختار له من الأساليب أيسرها وألينها، فقال مخاطبًا الأعرابي في خطاب سمح لين : (دَعُوهُ وهَرِيقُوا علَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِن مَاءٍ، أوْ ذَنُوبًا مِن مَاءٍ، فإنَّما بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، ولَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ)، فهي كما ترى تنساب في رقة وعذوبة بالغة لا تكلف فيها .

وهذا لا شك من أسباب جودة الأساليب وعلوها ورفعتها ، فمما يُحمد في كلام البلغاء والفصحاء أن يكون سمحًا سهلًا بعيدًا عن " التَّفَخُّرُ فِي الْكَلَامِ بِالتَّشَدُّقِ، وَتَكَلُّفِ السَّجْعِ وَالْفَصَاحَةِ، وَالتَّصَنُّعِ بِالْمُقَدِّمَاتِ الَّتِي يَعْتَادُهَا الْمُتَفَاصِحُونَ مِنْ زَخَارِفِ الْقَوْلِ "(١٥٠).

الخاتمة والنتائج:

بعد هذا التطواف الرائق في أحاديث جواب النبي –صلى الله عليه وسلم– في خطاب الأعراب تبين أننا في دوحة مثمرة، قطوفها دانية، ولا غرو في ذلك فستظل السنة النبوية ببلاغتها وسحر بيانها تأسر الألباب في كل عصر وحين ، لا شك أن لكل فرد خصوصية في حديثه مع من يُخاطبه، وحديث النبي ﷺ مع الأعراب تضمن خصائص معينة منها:

١- غلبة الأسلوب الحقيقي، وهو الأسلوب المباشر المبني على الحقيقة؛ ليتناسب مع طبيعة الأعرابي، فالأسلوب المجازي يحتاج إلى مستويات عُليا من التفكير، وهذا لا يتناسب قليلًا مع الأعرابي، وبذلك يأتي الكلام "كأنه نطق للحقيقة المعبر عنها، والكلمة الصادقة تنطق مرة واحدة؛ فصورتها اللغوية لا تكون إلا صريحة منكشفة عن معناها المضيء كأنما ألقي فيها النور" (١٥١).

٢- الإيجاز، كان النبي ﷺ حريصًا على أن يكون حديثه مع الأعرابي موجزًا حتى يستطيع الأعرابي استيعابه، ومن ثمّ يُعينه على تنفيذ تلك التعليمات، فبيان النبي بيان محكم، وأن كلماته وألفاظه إنما ينطق بها بمقدار، وهذا من معالم بيان النبي لا سيما في جوابه للسائلين.

٣- الوضوح، مما يُميز حديث النبي ﷺ مع الأعراب هو الوضوح حتى يتسنى لهم الفهم والاستيعاب.

٤- مراعاة حال كل فرد عند إجابته ﷺ، فكانت إجابته متطابقة تمامًا مع الحال التي سأل عنها الأعرابي، فالنبي ﷺ معلمًا لجميع الأمة ، يبلغ رسالة ربه للناس كافة ؛ لذلك جاءت ألفاظ السنة النبوية ببلاغتها لاتختص بأشخاص معينين ، بل تكون من خلال حادثة معينة أو مواقف لأشخاص ، أو رسائل ، أو توجيه ، وإن خاطب فيها شخص بعينه ، فإن الحديث هو درس للمسلمين كافة

٥- أُعطي النبي ﷺ جوامع الكلم، وهي ملكة وموهبة يقتدر بها على إيجاز الألفاظ مع سعة المعاني وبنظم لطيف لا تعقيد فيه، وقد بدا ذلك جليًا من خلال تلك الأحاديث في جواب النبي على الأعراب وعلى ما دار في أذهانهم من أسئلة واستفسارات، فكان ﷺ يخاطب كل إنسان بقدر عقله وبما يحتاج إليه كل أعرابي من جواب بما يراه ﷺ من إصلاح للسائل، مع حسن اختيار الألفاظ المؤدية للمعنى المراد في وقته، فيكون فيها الكلام مطابقًا لمقتضى الحال.

٦- امتلك رسول الله ﷺ القلوب قبل العقول في خطاباته فمنها ما كان لعلاج مشكلة، أو إنكار خطأ، أو تحديد مفهوم، لكنها تحمل بين جوانبها الاحترام لمشاعر الآخرين، وفيها مراعاة لنفسياتهم وجبر لمشاعرهم وخواطرهم.

٧- من الأساليب التي اعتمد النبي ﷺ عليها أسلوب الحوار، ففيه يكون ذهن المتلقي أكثر تجاوبًا وتفتحًا واستجابة لما يلقى عليه من أفكار، وبخاصة أن الحوار جاء في صورة السؤال والجواب، مما كان له أبلغ الأثر في جذب انتباه الصحابة واستنفار ملكاتهم الذهنية لمتابعة الحوار، وغير خاف من أن هذه الطريقة هي الأفضل في التعليم.

٨- الغرابة، كذلك آثر النبي ﷺ بعض الكلمات شديدة الغرابة، وهي وإن كانت غريبة عن الصحابة إلا أنها مستساغة ومألوفة على الأعرابي ومتناسبة مع معجمهم اللغوي والبياني، وفضلًا عن ذلك فإنها تعالج بغرابتها موقفًا وحدثًا لا يُجدي فيه ساعتها غيرها ، وفيها من الإعجاز النبوي أن صاحب الرسالة خاطب كل قوم بلغتهم، ولا يحيط باللغة إلا نبي(١٥٢).

٩- قوة الألفاظ، آثر النبي ﷺ تلك الألفاظ القوية الحاسمة (أعددت،ذنوبًا، ويحك، ويلك، ..)، وكأن النبي يدفع بقوة اللفظ وحاسميته دفعة الأعرابي وشدته، فقد اختار ألفاظًا جزلة مألوفة في لغة العرب، وواضحة المعنى، فالأحاديث محل الدراسة "لا ترى فيها لفظًا مضطربًا ، ولا لفظة مستدعاة لمعناها ، أو مستكرهة عليه، ولا كلمة غيرُها أتم منها أداءً للمعنى)(١٥٣).

٩- ندرة الصورة المجازية والاستعارية فى أحاديث هذا المقام، والاعتماد في غالب جواب الأعراب على الحقيقة والأساليب المباشرة والتي تتناسب مع طبيعة الأعراب وثقافتهم وبيئتهم، وجاءت بليغة فصيحة غاية في البراعة والبيان واستبان معها أن المجاز والأخيلة إنما تربو على الحقيقة حين يستدعيها المقام ويتطلبها السياق ، وإلا كانت كلفة على النص وثقلاً .

١٠- الكناية، حين يستخدمها النبي كان يميل إلى الكنايات القريبة التي تتناسب مع أسماعهم.

١١- الاختصار والدخول مباشرة على جواب السؤال؛ وذلك لشعوره التام بحال المخاطب وحيرته وتلهفه إلى الجواب.

- تأثر النبي ﷺ في ألفاظه وأسلوبه بأسلوب القرآن الكريم.
- المزواجة بين الجزالة والرقة في انتقاء الألفاظ واختيارها.

١٢- كثرة مجئ الفعل المضارع بصورة ملفتة، ولا ريب أن بناء المضارع أمس رحماً بهذا المقام، لأنه فى سياق تشريع لأحكام تتكرر، وينبغى أن يظل صاحبها مستحضراً لهذه التشريعات، كما إن النبوءات أمر غيبى مستقبلى ، يناسبه المضارع بدلالته على الاستقبال.

١٥- جاءت الأوامر، والنواهى فى أحاديث هذا المقام غير معللة؛ لأن شأن المؤمن الطاعة بمجرد السماع، ولأنه فى مقام التوجيه والتعليم.

١٦– خرجت الأوامر كثيرًا إلى معنى مجازي قد يكون هو الغالب عليها وهو النصح والإرشاد بغرض تهيئة السامع وترغيبه إلى امتثال ما يُلقى إليه من أوامر وتوجيهات.

١٧– للبيئة التي يعيشها الأَعراب أثر واضح في تكوين شخصياتهم وتشكيل سلوكهم وطباعهم.

١٨– تميزت التربية النبوية للأَعراب –وغيرهم– بأنها تربية عملية واقعية، وظهر ذلك في ضرب نماذج الاقتداء للأَعراب، وفي اختبارهم عمليا، وفي إعطاء المخطئين الفرص لتصحيح الخطأ عمليا.

١٩– يظهر سمو المنهج النبوي في التعامل مع الأَعراب من خلال تَغَيُّر حال كثير من الأَعراب من الإسلام الظاهري إلى الإيمان الحقيقي الصادق، ومشاركتهم وإسهامهم في الدعوة من خلال طلب الفهم وطلب التعلم.

٢٠– ثراء النص النبوي وتحمله كمًّا كبيرا من المعاني والتوجيهات والإرشادات، وموضوع الأَعراب في السنة مثال شاهد على ذلك.

٢١– تعامل النبي مع الأَعراب خصوصا والمسلمين عموما، كان له الأثر الواضح في توجيه هذه الأمة وتغير مسارها من أمة جافية ساكنة في غياهب الصحراء إلى منارة للحضارة والرقي والتقدم عبر هذا البيان النبوي المحكم.

٢٢– يرى البحث أن تورك البلاغين على المجاز دون الحقيقة بالبحث والدراسة وإبراز القيم الفنية يُعد تقصيرًا في حق شق البلاغة الآخر وهو الحقيقة الذي هو في حاجة إلى مزيد من العناية بالبحث.

٢٣–في حرص النبي ﷺ على سؤال الأعرابي والاستفهام منه بأساليب متنوعة بهل والهمزة وتكرار سؤاله للأعرابي أحيانًا دلالة واضحة على حرصه ﷺ على أن يصل إلى إجابات محددة وواضحة ونسب مؤكدة يبني عليها أحكامه وغايته بعد ذلك كي تكون طريقًا واضحًا وطريقة بيانية مؤثرة لهذا الأعرابي ولمن ورائه من الأعراب، كقوله ﷺ : هل لك من إبل، هل تؤدي صدقاتها، وهل تمنح منها...

وخرج البحث ببعض التوصيات، منها :

– المزيد من الدراسة والبحث في مجالات الإعجاز البلاغي في السنة النبوية لحاجة الأمة إليها في زمن كثر فيه الفتن .

– إحياء السنة النبوية واجب وفرض على كل مسلم يقر بلا إله إلا الله محمد رسول الله.

–تربية الأجيال على التحدث بألفاظ البلاغة النبوية؛ حتى نُربي جيلًا قادرًا على تحمل المسؤلية في الظروف التي تُحاك لأبناء العروبة والإسلام.

وفي النهاية لا يسعنا إلا أن نقر ونذعن لما قرره الرافعي من مشكاة النبوة والبيان بقوله: " إذا نظرت فيما صح نقله من كلام النبي – صلى الله عليه وسلم – رأيته مُسددَ اللفظ مُحكم الوضع جزل التركيب. متناسِب الأجزاء في تأليف الكلمات: فخم الجملة واضح الصلة بين اللفظ ومعناه واللفظ وضريبه في التأليف

والنسق، ثم لا ترى فيه حرفاً مضطرباً؛ ولا لفظة مستدعاة لمعناها أو مستكرهة عليه؛ ولا كلمة غيرُها أتم منها أداة للمعنى وتأتياً لسره في الاستعمال، حسن المعرِض، بين الجملة، واضحَ التفضيل، ظاهِرَ الحدود جيدَ الرصفِ، متمكن المعنى؛ واسع الحيلة في تصريفه، بديعَ الإشارة، غريب اللمحة، ناصع البيان، ثم لا ترى فيه إحالة ولا استكراهاً، ولا ترى اضطراباً ولا خطلاً، ولا استعانة من عجز، ولا توسعاً من ضيق، ولا ضعفاً في وجه من الوجوه " (١٥٤).

وفي الختام أسال الله عزوجل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وسببًا للفوز بالرضى والقبول والتكريم، وأن ينفع الله به المسلمين والمؤمنين، وأن يجمعنا مع نبيه ﷺ في الجنة ويحشرنا تحت رايته بعد أن يحيينا على سنته ويمتنا على شرعته.

وصلى الله على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الهوامش:

(١) (سورة النجم: آية / ٣ . ٤).

(٢) أخرجه مسلم –كتاب الجهاد – باب غزوة حنين : ١١٦/١٢.

(٢) ينظر تأثير الفكر الديني فى البلاغة العربية ص: ١٢– ١٤ باختصار – ط المكتب الإسلامى.

(٣) سبق تخريجه فى الفصل السابق.

(٥) تاريخ آداب العرب، للرافعي، دار الكتاب العربي: ٢/ ١٨٨.

(٦) مسند أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل،ت : شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢١ هـ ٢٠٠١ م، ط الرسالة: ٢٩/ ١٨١.

(٧) سورة النحل: ٧٥، ٧٦.

(٨) مقاييس اللغة، لابن فارس، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م: (جوب).

(٩) معجم لسان العرب، لابن منظور، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ : (جوب)

(١٠) المفردات في غريب القرآن (ص: ٢١٠).

(١١) معجم مقاييس اللغة: (خَطَبَ).

(١٢) معجم لسان العرب: (١/ ٣٦١).

(١٣) معجم تاج العروس من جواهر القاموس ،الزَّبيدي، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: الأولى /١٤١٤ هـ :(١/ ٧٨).

(١٤) التوقيف على مهمات التعاريف المناوي، عالم الكتب ،ت: عبد الخالق ثروت–القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ–١٩٩٠م.: ١٤٠.

(١٥) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء الحنفي، ت: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت : ص: ٤١٩. والإحكام في أصول الأحكام، للآمدي، ت: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت– دمشق ١/ ٩٥.

(١٦) مقاييس اللغة، لابن فارس. (عَرَبَ)

(١٧) تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري. [عرب].

(١٨) ينظر : لسان العرب. [عرب].

(١٩) تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري. [عرب].

(٢٠) ينظر: معجم الفروق اللغوية. ص: ٣٨.

(٢١) لسان العرب. [عرب]..

(٢٢) كتاب العين. [عرب].

(٢٣) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، ت: صفوان عدنان الداودي : دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط: الأولى – ١٤١٢ هـ: ٥٥٧.

(٢٤) سورة: [الأحزاب: ٢٠]

(٢٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج ، ت/ عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، ط: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م: ٢٢١/٤.

(٢٦) [التوبة: ٩٧]

(٢٧) من الأمثلة على ذلك: حديث الأَعرابي الذي بال في المسجد (البخاري: صحيح البخاري. كتاب الوضوء. باب صب الماء على البول في المسجد. ج ١. ص ٥٤. رقم: ٢٢٠). والأَعرابي الذي استنكر على رسول الله تقبيل أبنائه صحيح مسلم. كتاب الفضائل. باب رحمته ﷺ بالصبيان والعيال ٤ / ١٨٠٨. رقم: (٢٣١٧).

(٢٨) سورة: [الحجرات: ٤ – ٥]

(٢٩) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن. ج ٢٢. ص ٢٨٤.

(٣٠) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ، عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى – ١٤٢٢ هـ. ج ٥/ ١٤٦.

(٣١) {يوسف: ١٠٩}.

(٣٢) تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، دار الكتب العلمية ، منشورات محمد علي بيضون – بيروت ، ط: الأولى – ١٤١٩ هـ: ١٧٧/٤.

(٣٣) [سورة التوبة: ٩٧]

(٣٤) التحرير والتنوير: ١١/ ١٢.

(٣٥) صحيح البخاري (١/ ٢١) ح رقم (٥٩). قوله: (أراه) أظنه قال هذا. قال في الفتح والشك من محمد بن فليح – أحد رجال السند – ورواه الحسن بن سفيان وغيره عن عثمان بن أبي شيبة عن يونس بن محمد عن فليح ولفظه (أين السائل) ولم يشك. (وسد) أسند. (غير أهله) من ليس كفأً له.

(٣٦) عمدة القاري ـ بدر الدين العيني . دار إحياء التراث العربي . بيروت: ٢ / ٧.

(٣٧) سورة هود: أية ٦١.

(٣٨) الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي (بتصرف)، د. ابتسام حمدان: ٢١٨, دار القلم العربي ـ حلب ـ الأولى ، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م .

(٣٩) أسلوب الاستفهام في الأحاديث النبوية في رياض الصالحين دراسة نحوية بلاغية تداولية، ماجستير، كلية الآداب جامعة مولود معمري الجزائر ص: ١٥.

(٤٠) قاول فلانًا في الأمر : باحثه وجادَلَه ، فاوضه فيه "قاول النَّاقدُ الكاتِبَ ". معجم اللغة العربية المعاصرة . ٣/ ١٨٧٢ .

(٤١) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري: محمد بن يوسف الكرماني ٢ / ٥. دار إحياء التراث العربي، بيروت. ط ثانية: ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.

(٤٢) لكَوْنِ الجملة الثَّانِيَةِ جَوَاباً لِسُؤَالٍ اقْتَضَتْهُ الْأُوْلَى، فَتُنَزَّلُ الْأُوْلَى مَنْزِلَةَ السُّؤَالِ؛ لِكَوْنِهَا مُشْتَمِلَةً عَلَيْهِ وَمُقْتَضِيَةً لَهُ، فَتُفْصَلُ الثَّانِيَةُ عَنِ الْأُوْلَى كَمَا يُفْصَلُ الْجَوَابُ عَنِ السُّؤَالِ؛ لِمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الِاتِّصَالِ، وَيُسَمَّى الْفَصْلُ لِذَلِكَ (اسْتِئْنَافاً)، وَكَذَا الْجُمْلَةُ الثَّانِيَةُ تُسَمَّى اسْتِئْنَافاً ومُسْتَأْنَفَةً. ينظر: درر الفرائد= =المستحسنة في شرح منظومة ابن الشحنة. ابن عَبْدِ الحَقِّ العُمَرِيّ الطَّرَابُلُسِيّ ت / سُلَيمان العُمَيرات ص: ٢٩٧.: دار ابن حزم، بيروت – ط: الأولى، ١٤٣٩ هـ – ٢٠١٨ م.

(٤٣) دلائل الإعجاز . ص: ١٦١.

(٤٤) ينظر: مغني اللبيب.١ / ٧١٣ .

(٤٥) صحيح البخاري ١/ ٢٧ رقم (٥٠).

(٤٦) والأسلوب الحكيم هو: تلقي المخاطب بغير ما يترقب، بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيها على أنه الأولى بالقصد، أو السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيها على أنه الأولى بحاله أو المهم له. أنوار الربيع في أنواع البديع ، ص: ١٢٦.

(٤٧) مما يعني أن السكوت –في بعض الأوقات وبعض السياقات– بيان؛ لأنه يحمل من الدلالات –في بعض الأحيان– ما لا يحمله اللفظ. البيان بالسكوت في الحديث النبوي، د.سعيد جمعة . ص: ١.

(٤٨) الأسلوب الحكيم في الحديث النبوي في صحيح البخاري (بتصرف) .كمال كامل محمود . ص: ٢٧٠٤.

(٤٩) خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني . ص: ٢٤٨.

(٥٠) السابق الصفحة نفسها.

(٥١) الأسلوب الحكيم في الحديث النبوي في صحيح البخاري: ٢٧٠٥.

(٥٢) [النحل: ١] .

(٥٣) [هود: ١٢٢].

(٥٤) علل التعبير القرآني في السور المفتحة بالحمد . وسام نجم . ١٠/ ١٦٢.

(٥٥) ينظر: مغني اللبيب، ص: ٢٧٢.

(٥٦) أجابه النبي بجواب عام بحيث يدخل فيه ضياع الأمانة وغيرها مما يترتب عليه من ضياع الحقوق ، يقول ابن بطال :(فأجاب (بجواب عام دخل فيه تضييع الأمانة ، وما كان في معناها مما لا يجرى على طريق الحق ، كاتخاذ العلماء الجهال عند موت أهل العلم ، واتخاذ ولاة الجور وحكام الجور عند غلبة الباطل وأهله، وقد ذكر ابن أبي شيبة من حديث المقبري عن أبي هريرة قال:= =قال النبي:" سيأتي على الناس سنوات خدّاعات يصدق فيها الكاذب ، ويكذب فيها الصادق ، ويؤتمن فيها الخائن ، ويخون فيها الأمين ، وينطق الرويبضة . قيل : وما الرويبضة ؟ قال: الرجل التافه في أمر العامة ". وقد رأينا أكثر هذه العلامات وما بقي منها فغير بعيد ". شرح صحيح البخاري. لابن بطال ١٠ /٢٠٧.

(٥٧) فتح الباري لابن حجر . ١١/ ٣٣٤.

(٥٨) ومن ذلك قول النبي ﷺ: «من ادعى إلى غير أبيه، وهو يعلم فالجنة عليه حرام» صحيح البخاري .٥ / ١٥٦ رقم (٤٣٢٦).

(٥٩) فتح الباري لابن حجر. ١٨ / ٣٣٣.

(٦٠) ينظر: حاشية الدسوقي على مختصر المعاني . ٢/ ٤١٩.

(٦١) ينظر: الخطاب الطلبي في الحديث النبوي، دراسة بلاغية في صحيح البخاري. هناء محمود شهاب . ص: ٧٧. ط الأولى ١٤٣٥ هـ .٢٠١٤م.

(٦٢) اللسان (وسد).

(٦٣) فتح الباري ١ / ١٥١.

(٦٤) شرح الكرماني جـ٢ صـ٥:

(٦٥) شرح الطيبى ١٢ ـ٣٤٣٧.

(٦٦) سورة الروم: أية ٥٥.

(٦٧) لسان العرب (سوع).

(٦٨) ينظر: التحرير والتنوير ٦ / ٢٢٤.

(٦٩) ينظر : مبادئ الإدارة بين النظرية والتطبيق د / محمد إسماعيل بلال ص: ٢٦. ، وما بعدها: دار الجامعة الجديدة الإسكندرية طبعة ٢٠٠٤ م.

(٧٠) صحيح البخاري (٨/ ٣٩).

(٧١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن، ت: د. عبد الحميد هنداوي،: مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة – الرياض : ١٠/ ٣٢٠١.

(٧٢) شرح الكرماني لصحيح البخاري (/٢٢ ٣.٣٥).

٧٣ أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي، المحقق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨ م: (٣/ ٢٢٠٦).

(٧٤) ويحك: كلمة رحمة وتقال لمن يكرم عليك. ويلك: من الويل، وهي كلمة عذاب..البديع في علم العربية ٢ / ٧٦٢.

(٧٥) سورة الأنفال: ٦٠.

(٧٦) المنهاج الواضح للبلاغة ٢ /٧٠

(٧٧) فتح الباري لابن حجر ١٠ /٥٥٥

(٧٨) النساء: ٩٤.

(٧٩) فتح الباري لابن حجر، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، ١٠/ ٥٥٥. دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.

(٨٠) المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم تـ / محيي الدين ديب ميستو – أحمد محمد السيد – يوسف علي بديوي – محمود إبراهيم بزال. ٦/ ٥٢٥. دار ابن كثير، دمشق – بيروت، دار الكلم الطيب، دمشق ط: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م.

(٨١) فتح الباري لابن حجر ١٠ /٥٥٦.

(٨٢) صحيح البخاري . ٥/ ١١٦.

(٨٣) شبه كمال الاتصال: كون الجملة جوابا عن سؤال اقتضته الأولى؛ فتنزل منزلته، فتُفصَل الثانية عنها كما يفصل الجواب عن السؤال. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ٢/ ٢٩٣.

(٨٤) بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادى، ت: محمد علي النجار، : ٢/ ٤٣. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط: ١٤١٦ هـ – .١٩٩٦

(٨٥) الأسلوب الخبري بين المخاطِب والمخاطَب من خلال أحاديث اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، محمد السيد موسى، مجلة كلية التربية، جامعة المنصورة، العدد ٧٥ الجزء الثانى. ٢٠١١١م ص: ٣٨٥.

(٨٦)الجامع الصحيح المختصر، دار الشعب – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧ م: كِتَابُ صَلاَةِ التَّرَاوِيحِ، بَابُ فَضْلِ مَنْ قَامَ رَمَضَانَ ٣/٥٩.

(٨٧) ينظر: الأسلوب الخبري بين المخاطِب والمخاطَب :٣٨٥.

(٨٨) سورة البقرة ، آية: (٩١).

(٨٩) ينظر: الأسلوب الخبري بين المخاطِب والمخاطَب ص:٣٨٥.

(٩٠) صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة: (٢/ ١٠٥).

(٩١) التحرير والتنوير ١/ ٥٨٢ دار سحنون ، تونس.. ١٩٨٤ هـ. وينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح . ١/ ١٥٣.

(٩٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ١/ ٤٢٤، وينظر: الإيضاح في علوم البلاغة . ٢/ ٩٦.

(٩٣) من بلاغة التفصيل بـ (أما) في القرآن الكريم. د. علي محمد عبدالرحيم. من حولية كلية اللغة العربية بجرجان المجلد١٣ ا، العدد: ٤، أكتوبر ٢٠٠٩م ١٤٣٠هـ ص: ٢٩٩٥.

(٩٤) [الأنبيَاء: ٢٥]. .

(٩٥) الكتاب لسيبويه ١/ ٣٤ .

(٩٦) دلائل الإعجاز ص: ٥:٦.

(٩٧) ولعظيم قول الشهادة والوحدانية فقد قال النبي ﷺ أنّ من شهد لله بالوحدانية دخل الجنة مهما كانت أعماله، وحتى لو ارتكب الكبائر ؛ فقد روي أبو ذر ﷺ، قال النبي ﷺ: "ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة"، قلت: وإن زنى وإن سرق؟! قال: "وإن زنى وإن سرق"، قالها ثلاثًا، ثم قال في الرابعة: "على رغم أنف أبي ذر"، فخرج أبو ذر، وهو يقول: وإن رغم أنف أبي ذر" صحيح البخاري (١٤٩/٧).

(٩٨) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ١٨١). دار الكتب العلمية. بيروت . ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م .

(٩٩) ينظر: السابق الصفحة نفسها.

(١٠٠) كمال الاتصال فيكون لأمور ثلاثة: الأول: أن تكون الثانية مؤكدة للأولى، الثاني: أن تكون الثانية بدلا من الأولى، الثالث: أن تكون الثانية بيانا للأولى، وذلك بأن تنزل منها منزلة عطف البيان من متبوعه. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة: ٢/ ٢٩١:٢٨٦..

(١٠١) التوسط بين الكمالين: أن تتفق الجملتان خبرا وإنشاء، لفظا ومعنى، أو معنى لا لفظا. ينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ٢/ ٢٩٩.

(١٠٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، دار الفكر، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م: (١/ ١٠٤).

(١٠٣) [البَقَرَة: ٢٣٨]

(١٠٤) مسند أحمد ٣٨/ ٢٠، وسنن ابن ماجه ت/ الأرنؤوط ٢/ ١٨١. وسنن الترمذي ت/ بشار ٤/ ٣١٠.

(١٠٥) [التّوبَة: ١٠٣]

(١٠٦) [المؤمنون: ٤].

(١٠٧) المعارج: ٢٤.

(١٠٨) مراعاة النظير: أن يجمع في الكلام بين أمر وما يناسبه، لا بالتضاد. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ٤/ ٥٨٣.

(١٠٩) ينظر: فتح الباري ٦. ٢١٥.

(١١٠) الالتفات هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة, بعد التعبير عنه بطريق آخر منها. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة .١/ ١٣٨.

(١١١) لأسلوب الخبري بين المخاطِب والمخاطَب: ٣٥٩..

(١١٢) الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، إبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين الحنفي، ت: عبد الحميد هنداوي، ت: دار الكتب العلمية، بيروت . ١/ ٣٦٧.

(١١٣) المثل الثائر لابن الأثير، المكتبة العصرية: ١/٧٤.

(١١٤) صحيح البخاري، كتاب الرقاق ، باب التواضع ٨/ ١٠٥.

(١١٥) صحيح البخاري، باب فضل المنيحة: ٣/ ١٦٦.

(١١٦) [طه: ٦١]، ومن ذلك ما جاء على لسان أولي العلم في قصة قارون حين ردوا على المكذبين المشككين بقولهم: " {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ} [القصص: ٨٠]، وكما جاء في قول الأبوين المؤمنين لابنهما المعاند الكافر:

" {وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} [الأحقاف: ١٧].

(١١٧) عون المعبود (١٦٥،١٦٦، ١٠)، ويُنظر فتح الباري: ٤٧٧/١٠.

(١١٨) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية ، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون , ١٤١٥هـ /١٩٩٤م: ٢/ ٣٢٠.

(١١٩) البيان والتبيين ١/ ١٥٥ د/ عبد السلام هارون ط ب مكتبة الخانجى ١٤١٨ هـ، ١٩٩٨م.

(١٢٠) الصناعتين. العسكرى ٢٠٩ ت/ مفيد قميحه ط ٢ دار المكتبه العلمية ١٤٠٩ هـ. ١٩٨٩م.

(١٢١) ينظر: المقاييس البلاغية عند الجاحظ د/ فوزى السيد عبد ربه ص: ٢٠٩.

(١٢٢) دلائل الإعجاز ت شاكر ١/ ٢٤٠.

(١٢٣) شرح صحيح البخارى لابن بطال ٣/ ٤٥٩،

(١٢٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري . ١٣/ ١٨٨.

(١٢٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم . ٦/ ٢٧٦.

(١٢٦) التحبير لإيضاح معاني التيسير (٦/ ٣٩٨).

(١٢٧) أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) : (٢/ ١٢٩٥) .

(١٢٨) المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم: ٤/ ٥٦.

(١٢٩) البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج: ٣٢/ ٢٨٠.

(١٣٠) ينظر: لسان العرب: وتر.

(١٣١) سورة محمد : ٣٥.

(١٣٢) صحيح البخاري ،كتاب الوضوء ، باب صب الماء على البول في المسجد: ٥٤/١. والسجل الدلو الضخمة المملوءة. مذكر والجمع سجال وسجول ولا يقال لها فارغة سجل ولكن دلو. ينظر: المحكم والمحيط الأعظم ٧/ ٢٧٣، وأساس البلاغة ١/ ٢٨٦. والذَّنُوبُ: الدَّلْو فِيهَا ماءٌ؛ وَقِيلَ: الذَّنُوب: الدَّلْو الَّتِي يَكُونُ الماءُ دُونَ مِلْئِها، أَو قريبٌ مِنْهُ؛ وَقِيلَ: هِيَ الدَّلْو الملأَى. قَالَ: وَلَا يُقَالُ لَهَا وَهِيَ فَارِغَةٌ، ذَنُوبٌ. لسان العرب: (ذنب) .١/ ٣٩٢. وهراق الماء يهرقه بفتح الهاء، هراقة، أي: صبه، على وزن أفعل يفعل. قال سيبويه: وقد أبدلوا من الهمزة الهاء ثم ألزمت فصارت كأنها من نفس الحرف، ثم أدخلت الالف بعد على الهاء وتركت الهاء عوضا من حذفهم حركة العين، لان أصل أهرق أريق. الصحاح (هرق) .

(١٣٣) سورة أل عمران، الآية: ١٥٩..

(١٣٤) ويؤكد ذلك ما جاء في رواية أخرى: "أن أعرابيًا دخل المسجد ورأى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مع أصحابه فصلى ركعتين ثم قال: اللهم ارحمني ومحمدًا ولا ترحم معنا أحدًا؛ فقال النبي: "لقد تحجرت واسعًا" فلم يلبث أن بال في ناحية المسجد" ... مختصر سنن أبي داود للمنذري ت حلاق ١/ ١٢٤.

(١٣٥) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان : ١/ ٦٩.

(١٣٦) التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف، علي علي صبح، المكتبة الأزهرية، ط: الأولى: ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢م: ٤٠..

(١٣٧) تهذيب اللغة ج ١٠/ ٣٠٩. غريب الحديث ١/ ٣٤٥. والقاموس المحيط ١/ ١٣٠٩. .

ينظر: المحكم والمحيط الأعظم ج ٧/ص ٢٧٣،وأساس البلاغة ١/ ٢٨٦.

(١٣٨) صحيح البخاري، كتاب الأدب ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «يسروا ولا تعسروا» : ٨/ ٢٣٠ .

(١٣٩) مسند الإمام أحمد ٢/ ٢٣٩.

(١٤٠) فتح الباري ١/ ٣٢٤.

(١٤١) [النحل: ١٢٥].

(١٤٢) [آل عمران: ١٥٩].

(١٤٣) [فصلت: ٣٤].

(١٤٤) المُتَنَطِّعُونَ: هُمُ المُتَعَمِّقُونَ المُغالُونَ فِي الكلامِ الَّذِينَ يتَكلمون بأَقْصَى حُلُوقِهم تَكَبُّراً، المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم. لسان العرب: (نطع).

(١٤٥) صحيح مسلم، كتاب العلم ، باب هلك المتنطعون: ٤/ ٢٠٥٥.

(١٤٦) أسرار البلاغة ص: ٧.

(١٤٧) السابق نفس الصفحة .

(١٤٨) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب : ٤/ ٦٥.

(١٤٩) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق : ٤/ ٢٠٠٤.

١٥٠ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م: ٧/ ٣٠١٩.

(١٥١) السمو الروحي الأعظم والجمال الفني في البلاغة النبوية (ص: ٦١).

(١٥٢) قول للشَّافِعِيُّ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-"لَا يُحِيطُ بِاللُّغَةِ إِلَّا نَبِيٌّ". تحفة المحتاج في شرح المنهاج وحواشي= =الشرواني والعبادي أحمد بن محمد الهيتمي ، المكتبة التجارية الكبرى. مصر. بدون ، ١٣٥٧ هـ - ١٩٨٣ م: ١/ ٨.

(١٥٣)إعجاز القرآن والبلاغة النبوية. الرافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٧١م ص: ٢٢٣.

(١٥٤) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الثامنة ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٥ م ص: ٢٢١.

المصادر والمراجع

–أسلوب الاستفهام في الأحاديث النبوية في رياض الصالحين دراسة نحوية بلاغية تداولية، ماجستير، كلية الآداب جامعة مولود معمري الجزائر.

–إعجاز القرآن والبلاغة النبوية. الرافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٧١م.

–أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي، ت: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.

–الإحكام في أصول الأحكام، للآمدي، ت: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت–دمشق.

–الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي (بتصرف) : د. ابتسام حمدان , دار القلم العربي . حلب . الأولى ، ١٤١٨هـ . ١٩٩٧م .

–الأسلوب الحكيم في الحديث النبوي في صحيح البخاري" عشرة أحاديث مختارة. دكتور/ كمال كامل محمود ، أستاذ البلاغة والنقد .كلية البنات الإسلامية بأسيوط . جامعة الأزهر .

–الأسلوب الخبري بين المخاطِب والمخاطَب من خلال أحاديث اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، محمد السيد موسى، مجلة كلية التربية، جامعة المنصورة، العدد ٧٥ الجزء الثانى . ٢٠١١١م .

–الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، إبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين الحنفي، ت: عبد الحميد هنداوي، ت: دار الكتب العلمية، بيروت .

–البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج ، محمد بن علي بن آدم بن موسى الإتيوبي الولوي، دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، (١٤٢٦ - ١٤٣٦ هـ).

–البيان بالسكوت في الحديث النبوي . د. سعيد جمعة، كلية اللغة العربية بالمنوفية ، جامعة الأزهر.

–البيان والتبيين، للجاحظ ، ت: د/ عبد السلام هارون، ط ب مكتبة الخانجى ١٤١٨ هـ، ١٩٩٨م.

–التحرير والتنوير ، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ.

–التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف، علي علي صبح، المكتبة الأزهرية، ط: الأولى: ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢م.

–التوقيف على مهمات التعاريف المناوي ، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت–القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ–١٩٩٠م.

–الجامع الصحيح المختصر، دار الشعب – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧.

-الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

-الخصائص البلاغية للبيان النبوي، د. محمد أبو العلا الحمزاوي، مكتبة الرشد، المصدر: الشاملة الذهبية.

-الخطاب الطلبي في الحديث النبوي، دراسة بلاغية في صحيح البخاري. هناء محمود شهاب، ط الأولى ١٤٣٥ هـ .٢٠١٤م.

-السمو الروحي الأعظم والجمال الفني في البلاغة النبوية، الرافعي، ت: أبو عبد الرحمن البحيري وائل بن حافظ بن خلف، دار البشير للثقافة والعلوم، الطبعة: الأولى.

-الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

-الصناعتين. العسكرى، ت/ مفيد قميحه ط ٢ دار المكتبه العلمية ١٤٠٩ هـ. ١٩٨٩م.

-الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء الحنفي، ت: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت.

-الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري: محمد بن يوسف الكرماني، دار إحياء التراث العربي، بيروت. ط ثانية: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

-المثل السائر، ابن الأثير، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت، عام النشر:١٤٢٠ هـ.

-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ، عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى - ١٤٢٢.

-المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهانى ، ت: صفوان عدنان الداودي : دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط: الأولى - ١٤١٢ هـ.

-المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم ت / محيي الدين ديب ميستو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي - محمود إبراهيم بزال، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، دار الكلم الطيب، دمشق ط: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

-أنوار الربيع في أنواع البديع، ابن معصوم، ت: شاكر هادي شكر، منشورات مكتبة النعمان.

–بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادى، ت: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط: ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦.

–بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة الآداب، الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م .

–تاريخ آداب العرب، للرافعي، دار الكتاب العربي.

–تحفة المحتاج في شرح المنهاج وحواشي الشرواني والعبادي أحمد بن محمد الهيتمي، المكتبة التجارية الكبرى. مصر. بدون ، ١٣٥٧ هـ – ١٩٨٣ م.

–تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، دار الكتب العلمية ، منشورات محمد علي بيضون — بيروت ، ط: الأولى – ١٤١٩ هـ.

–حاشية الدسوقي على مختصر المعاني، حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني، محمد بن عرفة الدسوقي، ت: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت.

–خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني، أ.د/ محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، الطبعة: السابعة.

–درر الفرائد المستحسنة في شرح منظومة ابن الشحنة. ابن عَبْدِ الحَقِّ العُمَرِيّ الطَّرَابُلْسِيّ ت / سُلَيمان العُمَيرات، دار ابن حزم، بيروت — ط: الأولى، ١٤٣٩ هـ – ٢٠١٨ م.

–دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ت: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

–زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية ، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون , ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

–شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن، ت: د. عبد الحميد هنداوي،: مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة — الرياض.

–شرح صحيح البخاري . لابن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

–عمدة القاري . بدر الدين العيني ، دار إحياء التراث العربي . بيروت.

–فتح الباري لابن حجر، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.

–مبادئ الإدارة بين النظرية والتطبيق د / محمد إسماعيل بلال، دار الجامعة الجديدة الإسكندرية طبعة ٢٠٠٤ م.

-مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، دار الفكر، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .

-مسند أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل،ت : شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢١ هـ ٢٠٠١ م.

-معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج ، ت/ عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، ط: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

-معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

-معجم تاج العروس من جواهر القاموس ،الزَّبيدي، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: الأولى /١٤١٤ هـ.

-معجم لسان العرب، لابن منظور، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

-مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام ، ت: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، دار الفكر – دمشق، الطبعة: السادسة، ١٩٨٥.

-مقاييس اللغة، لابن فارس، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

-من بلاغة التفصيل بـ (أما) في القرآن الكريم. د. علي محمد عبدالرحيم. من حولية كلية اللغة العربية بجرجان المجلد١٣ ا، العدد: ٤، أكتوبر ٢٠٠٩م ١٤٣٠هـ.